



روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل



الأخطبوط



Looloo

www.helmelarab.net

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجد رجل واحد في سن (أدهم صيرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صيرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ - فى مواجهة جيش ..

سطع البرق فى حجرة (منى توفيق) ، وانعكس على وجه (أدهم) ، الذى وقف يتطلع إلى المطر المنهمر ، من خلف زجاج النافذة ، فى حين استلقت (منى) على فراشها ، تتطلع إليه فى خيرة ، وقد تنازعتها مشاعر شتى ، وسبح عقلها فى ذكريات عديدة ..

كانت تتذكر ما حدث منذ عام وربع العام ، عندما انتهى صراعها و (أدهم) ضد (بانشو سيلازر) ، الإرهابى المكسيكى الشهير ، فى وكره وسط صحراء (المكسيك) ، بانفجار وكر (بانشو) تماما ، وبدخله هذا الأخير ، مع (أدهم) ، فى حين كانت هى تطلق صرخات اللوعة والأسى ، داخل هليكوبتر تتطلق بها مبتعدة عن بؤرة الانفجار ، مع السفير المصرى^(*) ..

(*) راجع قصة (وكر الإرهاب) فى المراجعة رقم (٨٠) .

ومنذ ذلك الحين ، تم اعتبار (أدهم صبرى) ميتا ، في كل الأوراق الرسمية ، وتأكد ذلك بحكم اليقين ، عندما مر عام وربع العام ، دون العثور حتى على جثة ..

ثم بدأت التقارير المصرية عملية البحث عن البديل ..
عن (رجل المستحيل) الثاني ..

وانفطر قلب (منى) - أو كاد - عندما حصل الرائد (حسام شاكر) على اللقب ، وأصبح يحمل رسميا الرمز (ن - ١) ، وامتثلت نفسها بمرارة حقيقية ، عندما تقدم (حسام) يطلب يدها للزواج ..

ورفضت (منى) ..

رفضت بكل حنقها وألمها ..

بكل حبها لرجل واحد ..

(أدهم صبرى) ..

كانت تحبه ، حتى وهو في قبره ..

حتى بعد أن مات ..

ولكن المفاجأة كانت تنتظرها ، والدُّهول كان نصيبها ،

عندما عاد البطل فجأة ..

وفي ليلة مطيرة ، وجدت نفسها وجها لوجه أمام (رجل

المستحيل) ..

وفي تلك الليلة راح يروي لها قصته ، حسبما أدركها فيما بعد ..

لقد نجح من الفجار وكر (بانشو) بمعجزة ، ولكن ليس دون خسائر ..

لقد خسر ذاكرته ..

فقدتها تماما ، فلم يُعَد يذكر حتى من هو ، ولا إلى أي وطن ينتمى ..

وعثر عليه المكسيكي (برونكو) وابنته (ماريانا) ، وهو فاقد الوعي في صحراء ، وعمل (برونكو) على إسعافه ، بحاله من خيرة في التمريض ، اكتسبها من سابق عمله في الجيش المكسيكي ، قبل أن يعزل للعمل ، ويسكن إلى مزرعة صغيرة في (كيووا) ، نقل إليها (أدهم) الفاقد الذاكرة ، ومنحه اسم (أميجو) ، وراح (أدهم) يماونه في عمله في المزرعة ، وهو يذل أقصى جهده في الوقت ذاته لاستعادة ذاكرته ، وفيما عدا ذلك ، صارت الأمور على خير مايرام ..

حتى ظهر (توماس موران) ورجاله ..

وهنا اشتعلت الأمور ..

واستعاد (أدهم) غريزته القتالية ، وراح يقاتل (توماس) ورجاله ، الذين يحاولون إجبار (برونكو) على بيع مزرعته بشمن بخس ..

وتعقدت الأمور ..

ولى مبادرة جريئة ، هاجم (أدهم) مزرعة (توماس) ،
ونجح فى أسره من وسط رجاله ، وحمله معه إلى الصحراء ..
وهنا اتصل محامى (توماس) بقيادة المنظمة ، التى ينتمى
إليها هذا الأخير ، ونجح فى إقضاء (توماس) ، وحل محله ..
وهكذا أصبح المحامى (كال) هو الزعيم ..

وأطلق الرجال كلهم خلف (أدهم) ..

ولى هذه اللحظة ، كان (أدهم) قد أجبر (توماس) على
الاعتراف بأنهم يسعون لشراء أرض (كيوأوا) كلها ، لأنها
تسبح على منجم من اليورانيوم ، الذى يحتاجون إليه لصنع أكبر
قوة ضاربة فى العالم ، واعترف (توماس) أيضا أنه ينتمى إلى
منظمة جاسوسية زهية ، هى منظمة (سكوريون) ..

وعلى الرغم من فقدان (أدهم) لذاكرته ، إلا أنه شعر أن
الاسم مأثور لديه ..
وأنه يذكر شيئا عنه ..

ولى نفس اللحظة ، وصل فريق المطاردة ، الذى أرسله
(كال) ..

وحاول (أدهم) أن يجعل من (توماس) درغا وإقبا له ،
إلا أن الرجال أطلقوا النار على رأس (توماس) ، وأفقدوا
(أدهم) ذرعه ، وكان عليه أن يواجه وحده جيشا ..
وأن يتصرف^(*) ..

ازدردت (منى) لأعياها فى صعوبة ، وهى تتطلع إلى
(أدهم) الذى يوليا ظهره ، ويقف مراقبا المطر ، من خلف
زجاج النافذة ، ورأت عليهما صمت طويل ، قطعه أمها وهى
تدلف إلى الحجرة ، وتصحح مفمغة :
— القهوة .

الضقت إليها (أدهم) فى هدوء ، وابتسم وهو يتناول منها
قلح القهوة ، قائلا :

— شكرا ياسيدتى .. لطالما نمت لتناول قهوتك الرائعة .
اجتمعت الأم فى حنان ، وهى تقول :
— بالهناء والشفاء يا ولدى .

(*) لمزيد من التفاصيل راجع الجزء الأول (الرجل الأحمر) ..
المغامرة رقم (٨١) .

ثم أردفت في حماس :

— إنك ستأول طعام العشاء معنا .. أليس كذلك ؟

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

— بالتأكيد .

التفتت إلى ابتها ، وهي تقول في سعادة :

— أراهنك إذن أن (منى) ستأول عشاءها الليلة ، على

الرغم من أنها لم تفعل منذ .. منذ .. منذ ..

ارتبكت عند الفقرة الأخيرة ، فأدار هو عينيه إلى

(منى) ، وقال في حنان :

— هذا واضح .. لقد انخفض وزنها كثيراً .

ثم أضاف في سرعة :

— ولكنها ازدادت جمالاً .

تخضب وجه (منى) بخمرة الحجل ، في حين ابتسمت

الأم في سعادة وحنان ، وهي تقول :

— اطمئن يا ولدي .. أنا واثقة من أنها ستعيد وزنها ،

وستصبح أكثر جمالاً .

ثم أسرعته تهاذر المكان ، مردفة :

— لقد انتهت أحزانها .

ابنهم (أدهم) ، وهو يسأل (منى) :

— أهذا صحيح ؟

ازداد احمرار وجهها ، وغشمت :

— نعم .

ثم عادت تسأله في ضيق :

— ولكن متى ظهرت زوجك في اللعبة ؟

رفع حاجبيه ، مردداً :

— زوجتي ؟

عقدت حاجبها في شغط ، وأشاحت بوجهها ، قائلة في

عصية :

— (سونيا) .. (سونيا جراهام) .. ألم تقل إنك قد

تزوجتها ؟

رفع يده إلى مستوى عينيه ، وألقى نظرة سريعة على الذبلة

في وسطاه ، ثم أشاح بوجهه بدوره ، وعاد يتطلع إلى المطر

المساقط ، متعمقاً :

— نعم .. لقد تزوجتها .. ولهذا قصة .

زآن عليهما الصمت مرة أخرى ، قبل أن تسأله في صوت

متحشرج :

— حسنا .. ماذا حدث ، عندما واجهت ذلك الجيش
وحذك ؟
تهد في عمق ، وغاد يواصل قصته ..
ويروى ..

عندما أصابت الرصاصة رأس (توماس موران) ، وسقط
جثة هامدة ، داخل تلك السيارة المكشوفة ، التي انطلق بها
(أدهم) ، أدرك هذا الأخير على الفور أن المنظمة قد قررت
التخلي عن (توماس) ، وقتله هو أيضا ..
وكرجل فقد ذاكرته ، كان من الطبيعي أن يرتبك
(أدهم) ، ويتوتر ، ويتشتت ذهنه في شدة ، وهو يشاهد قافلة
كاملة من القنلة ، تنقش عليه في سبع سيارات قوية ، مع خمس
بنادق طويلة المدى ، مصوبة إلى رأسه ..
ولكن هذا لم يحدث ..
لقد كانت أعماق (أدهم) تدرك قدراته ..
حتى وإن لم يدركها هو ..
وبسرعة خرافية ، تكاد تنافس أجهزة الكمبيوتر ، ذات
الأداء الفائق ، وضع عقل (أدهم) لحظة القتال ..

وبدا تنفيذها ..

وقبل أن يطلق أحد المهاجمين رصاصة واحدة ، كان
(أدهم) قد التقط بندقية من القعد الخلفي ، وصوبها إليهم ،
و.....

وأطلق النار ..

وعندما نقول إن (رجل المسحبل) قد أطلق النار ، فإننا
نعني أن عاصفة عاتية من الدُخُول قد انقضت على أعدائه ..
وعصفت بهم ..

لقد انطلقت في البداية خمس رصاصات ، أطاحت ببنادق
الزُمارة الخمسة ، فصرخ أحدهم في دُخُول عازم :
— يا للشيطان !! ..

ولم تكد تكتمل حروف كلمته ، حتى هُوت رصاصات
بندقية (أدهم) على خزان وقود السيارة ، التي يركبها
الرجل ، مع ثلاثة من زملائه ، فصرخ :
— اهربوا .. ستفجروا

ولم يكمل عبارته هذه المرة ..
لقد انفجرت السيارة في قوة وعنف ، وتطايرت شظاياها
وأشلاء راكبها نحو السيارات الأخرى في القافلة ، في نفس

اللحظة التي أصابت فيها رصاصات (أدهم) خزان وقود
سيارة ثانية ..

وذوى الانفجار التالي ..

وتطارت الشظايا والأشلاء مرة أخرى ..

وصرخ قائد فريق المطاردة :

— توقفوا .. غادروا السيارات على الفور ، من الواضح
أنه شيطان في فن الرماية .

أوقف الباقون سياراتهم ، وقفزوا منها هاربين ، محتمين
بالصخور ، وراح بعضهم يطلق رصاصاته نحو سيارة
(أدهم) ، الذي دفع جثة (توماس) خارج السيارة ، وهو
يقول في سخرية :

— ليس من السهل إبدال الأموال أيا الأوغاد .

وانطلق بالسيارة مبتعدا ..

وبدلاً من أن يطارده الرجال بسياراتهم ، قفز قائداهم إلى
سيارته ، وضغط زر الاتصال اللاسلكي ، وهو يقول في تولد :
— لقد نجح ذلك الشيطان في الفرار يا سيور (كال) ، بعد
أن نسف لنا سيارتين .

قال (كال) في هدوء عجيب :

— ولم لم تطارده مع رجالك ؟

أجابه الرجل في تولد :

— أقول لك إنه نسف سيارتين برصاصات بندقية .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يسأله (كال) :

— وماذا عن (توماس) ؟

أجابه الرجل في عصية :

— لقد قتل أحد الرجال ، برصاصة مباشرة في رأسه .

أدهشه أن بدا الأرتياح في صوت (كال) ، وهو يقول :

— عظيم .

وقبل أن يُبدى الرجل دهشته ، أضاف (كال) :

— هل يمكنك أن تحدد الموقع الذي يتجه إليه (أميجو)

هذا ؟

أجابه الرجل :

— نعم .. إنه ينطلق إلى الشمال الشرق ، ويبدو أنه يخفي

العودة إلى مزرعة (برونكو) .

قال (كال) في هدوء :

— اطمئن .. إنه لن يصل إليها .

ثم أضاف في حزم :

— سأمر طائرقي الهليكوبتر بمطارده على الفور ، ومنعه

من الوصول إلى المزرعة بأي ثمن .

١٥

محت لحظة من الصمت ، قبل أن يتابع بلهجة تحمل الكثير
من القسوة :

— ولى نفس الوقت ، أريد منكم أن تتخلوا طريقاً خلفياً إلى
المزرعة ، بحيث تصلوا إليها قبل أن يلفها ذلك الشيطان ،
وأريد منكم أن تحصلوا على توقيع (برونكو) الوغد هذا على عقد
البيع ، حتى ولو اضطررتم لتمريره ، والحصول على بصمتها ..
هل فهمت ؟

أجابته الرجل في حزم :

— فهمت ..

وأبى الاتصال ، وعقله يحصل فكرة واحدة ..

لقد انتهى عهد (توماس موران) ..

وبدا عهد (كال) ..

وباله من عهد ..

انطلق (أدهم) بالسيارة ، عائداً إلى مزرعة (برونكو) ،
وعقله يحمل عشرات التساؤلات ..

لقد أصاب كل هدف ورغب في إصابته ..

ولم يضع رصاصة واحدة ..

بل لقد كان والثقا من أنه يستطيع هذا ..

لما الذى يفتيه كل ذلك ؟ ..

من هو ؟ ..

آية مهارات يمتلك ؟

لماذا يشعر دوماً أنه يمتلك طاقة هائلة ، لم تصجر بعد ؟ ..

كل هذا يُخَيِّرُهُ ..

يقلقه ..

يستزف أفكاره ..

ثم ماذا عن (سكوريون) هذه ؟ ..

إنه والثق من أنه يعرف هذا الاسم ..

يعرف الكثير عنه ..

بل إن مجرد ذكره يفتّر في ذهنه صوراً عديدة ..

جزيرة صغيرة نائية ..

قصر من قصور الأساطير ..

ذئب قاتل ..

أسماك متوحشة (*) ..

(*) واجه مركبة (أدهم صبرى) الأولى مع منظمة

(سكوريون) ، في قصة (أرض الأوهال) .. المغامرة رقم (١٣) .

ولكن ما الذى يعنيه كل هذا ؟
 ما الذى يربطه بتلك المنظمة الرهيبة ، التى تسعى لتصبح
 أكبر قوة صارية فى العالم ؟
 قطع أفكاره فجأة هدير مروحة هليكوبتر ..
 وعندما رفع عينيه إلى أعلى ، شاهد طائرتى الهليكوبتر
 تطاردانه ..
 وفى نفس اللحظة انطلقت من مدايق الطائرتين سيول من
 الرصاصات ..
 وبدأت المعركة ..



وعندما رفع عينيه إلى أعلى ، شاهد طائرتى الهليكوبتر
 تطاردانه ..

٢ - طائرتان .. ورجل ..

تطلعت (ماريانا) إلى والدها في نزعة ، وهو يحزم حوائجها ، وتحت في ألم :

— أما زلت تصرُّ على الرحيل ؟

أجابها في مرارة :

— ليس أمامنا سوى هذا ، لو أردنا البقاء على قيد الحياة .

قالت في يأس :

— ولكن (أميجو) وغدا

قاطعها في حدة :

— وغدا ماذا ؟ .. ما الذي يعلمه (أميجو) عن قوة

(توماس موران) ورجاله ؟ .. إنه مجرد ضالع مجهول الهوية ،

لا يدرك حتى من هو .

قالت :

— ولكنني أشعر أنه

قاطعها مخففاً :

— اكتمى شعورك هذا في قلبك إذن ، لو أردت الحفاظ

عليه ، فليس للموتى أية مشاعر .

ترفرق الدمع في عينيها ، وهي تقول :

— أفي .. إنك

قاطعها هذه المرة ذوتى تحطم البقية الباقية من سور المزرعة

الحشني ، وهدير محركات سيارات رجال (توماس) ، وهي

تندفع نحو المنزل ، فشحب وجهها ، وامطع وجه والدها ،

وهو يقول :

— كنت أعلم أن هذا سيحدث .

أسرع إلى النافذة ، وهبط قلبه بين ساقيه ، عندما وقع بصره

على السيارات الخمس التي تقترب ، وداخلها الرجال

المسلحون ، وأضاف في رعب :

— كنت أعلم .

بداء مزج من اليأس والمرارة على وجه (ماريانا) ، ثم لم تلبث

أن هبطت في خنق وحزم :

— لقد قال (أميجو) أن الموت أفضل من الرحيل .

وانزعجت بتدقيق من الحائط في صرامة ، فقفز والدها

بتزعجها من يدها ، وهو يقول في حدة :

— هل جئتي ؟

قالت وهي تحاول أن تسرد البندقية :

— لابد أن نقاتل .

جذب البندقية إليه في عصف ، والمرغ رصاصاتها ، قبل أن يلقبها في سُخْط ، هاتفاً :

— القتال لمن يمكنهم القتال .

وانتهى إلى الباب رافعا ذارعيه ، مستطرذا في مرارة :

— وليس للكحول والنساء .

تبعته في مزيج من الغضب واليأس ، ووقفت إلى جواره ، أمام رجال (كال) ، الذين ارتسمت الابتسامات الساحرة على شفاههم ، وكبيرهم يقول لـ (برونكو) في ضيافة :

— هل ستوقع العقد الآن ؟

أوماً (برونكو) برأسه في مرارة ، وهو يقول :

— نعم .. سأفعل .

ألقى إليه الرجل حقيبة صغيرة ، وهو يقول في ازدراء :

— في هذه الحقيبة ستجد عشرة آلاف دولار ، هي كل ثمن

المزرعة .. أتجده مناسباً ؟

ترقرقت دمعة في عين (برونكو) ، وهو يتعمم :

— بالتأكيد .

تألفت عينا الرجل في سُخْرية شرس ، وهو يمد يده بالعقد المكسوب والقلم ، قائلاً في لهجة أمرة :

— ولقّع إذن .

ارتجفت أصابع (برونكو) ، وهو يتناول القلم والعقد ، وتجمعت دمعة كبيرة في عينه ، وهو يمدى القلم من الورقة .. وعندما ذبل العقد بتوقيعه ، لم تحمل تلك الدمعة الحية ، فانطلقت فائرة ..

وسقطت ..

سقطت لترتطم بطرف العقد ، وتتناثر على هيئة قطرات صغيرة ، استقرت فوق أرض المزرعة ..

لقد خسِر (برونكو) أرضه ..

وكرامته ..

وعندما أعاد (برونكو) العقد المذبل بالتوقيع إلى الرجل ، كانت الرؤيا أمامه مشوشة ، لكثرة ما تحمل عيناه من دموع .. وعندما التقط الرجل العقد ، وتأكد من التوقيع ، ودسّ العقد في جيبه ، كانت عيناه تبرقان في ضيافة وظفر ..

وفي هدوء شامت ، أشار الرجل بيده إلى نهاية المزرعة ، قائلاً :

— ارحل .

ولى مرارة ، جل (برونكو) و (ماربانا) حقائبهما ..
ورحلا ..

طوال عمل (أدهم صبرى) فى التقارير الحربية ، ثم
التقارير العامة ، وقبلهما فى إدارة القسوات الخاصة
(الصاعقة) ، بات من الواضح للجميع أن نجاحه المذهل ، من
معظم ما يبرز له من مخاطر جسام ، إنما تعود ، بعد توفيق الله
(سبحانه وتعالى) ، إلى سرعة الاستجابة الفائقة ، والحارقة
للعألوف ، التى يتمتع بها (أدهم) ، والتى اكتسب بعضها من
موهبته ، التى حباها بها المولى (عز وجل) ، وصقل الباقى بطلبك
التدريبات الرائعة ، التى بدأها معه والده ، وهو بعد فى الثالثة
من عمره ..

ففى تلك اللحظة ، فى صحراء (المكسيك) ، كانت هناك
طائرتان من نوع المليكوتير تطارذانه ، وقد زودت كل منهما
بمدفعين رشاشين قويتين ، خلفهما اثنان من أسرع طياري
المليكوتير الحربية الأمريكين ..

ويختر كل طيار من طياري المليكوتير بقدرته الفائقة على
إصابة أى هدف متحرك ، حتى ولو كان فى حجم فأر ، يعلو
وسط أحراش كثيفة ..

لذا بدت لهما مهمة القناص (أدهم) ، الذى يقود سيارة
مكشوفة ، فى صحراء شاسعة ، أقل سهولة من القاط ككرة
تس بكفين كبيرتين .

وبكل هذه الثقة ، أطلق أحدهما رصاصات مدفيه نحو
جسد (أدهم) ، فى حين أطلق الآخر رصاصاته نحو خزان
وقود السيارة ..

ولكن المشكلة التى لم يدرك الاثنان أبعادها ، هى أنها
لا يقتلان صيدا عاديا ..
بل رجل من نوع خاص ..

(رجل المستحيل) ..
لقد سمع (أدهم) هدير مروحي المليكوتير ، ونظهما
بطرف عينيه ، ثم انحرف بسيارته بفتة وبسرعة ، قبل أن تنطلق
رصاصات المدافع ..

أو فى نفس اللحظة تقريبا ..
ولم يصب الطياران هدفهما ..
وضاعت رصاصاتهما وسط الصحراء ..
وحن جثثهما ..

وعندما استعدا للهجوم التالى ، كان (أدهم) قد انطلق
بكل مهارته فى القيادة ..

وراحت سيارة (أدهم) تراوغ الطالرتين في براعة مذهلة ، وتغادى رصاصاتهما على نحو آثار منقطع الطيارين ، فهتف أحدهما لزميله ، غير أجهزة الاتصال اللاسلكى بينهما :
 — أى شيطان هذا ؟! .. إلتى لم أزل في حياتى كلها من هو أكثر منه براعة في قيادة السيارات .
 أجابه زميله في حدة :

— لن نسمح له بالفراغ منا على أية حال .. واصل أنت مطاردته ، وسأدور أنا حول تلك السلسلة الجبلية هناك ، والمواجهة من الأمام .
 قال الأول في غضب :
 — فليكن .

وراح يواصل مطاردته لـ (أدهم) ، في حين احتفى زميله خلف أول السلسلة الجبلية الصغيرة ، فغمغم (أدهم) في لهجة أقرب إلى السخرية ، وهو يرفع بندقيته بيده اليسرى :
 — لرى أين احتفى الوغد الآخر ؟! .. أينعت لكعين جوى مثلاً ؟

ثم أدار قوامة بندقيته نحو المليكوبتر ، مستطرداً :
 — فليكن .. لن أكتفى بدور الدفاع .

أطلق رصاصات بندقيته نحو المليكوبتر ، فهتف قائدها مُخففاً :

— يا للغرور .. أنتصوّر قدرتك على مجابهة هليكوبتر ببندقية واحدة ؟! .. ثم إنك لا تحيد التصويب .. لقد طاشت رصاصاتك كلها ، و... ..

لهجأة ، احتل توازن المليكوبتر ، ومالت إلى اليسار قليلاً ، وسقط منها جسم ثقيل ، ارتطم بالأرض في قوة ، وأثار عاصفة من الغبار ، فجئن جنون الطيار ، وهو يصرخ :
 — اللعة !! .. لقد أسقط أحد المدفعين الرشاشين .. لقد أصاب ذراع التيت .. ياله من شيطان !!

قالها وراح يطلق النيران خلف سيارة (أدهم) في جنون ، وهذا الأخير يراوغ في مهارة مذهلة ، حتى ضاق الطريق فجأة ، وبدا من الواضح أنه على سيارة (أدهم) أن تعبر ممراً قصيراً محتماً ، فصرخ الطيار في شماته :
 — لقد وقعت أيتها الشيطان .. وقتت .

وكان (أدهم) يدرك أيضاً أن ذلك الممر القصير يحده من قدرته على المناورة بالسيارة ، ويجعل وقوعه في يد الطيار أكثر سهولة ، لذا فقد زاد من سرعته محاولاً تجاوز الممر بأقصى سرعة ..

ولكن ..

فجأة ، ظهرت المليونيرة الأخرى عند نهاية الممر ..

وصوب قائدها مدسها نحو سيارة (أدهم) ..

وأقدمت المليونيرة الأولى من الخلف ، وصرخ قائدها غيّر

اللاسلكى فى زميله :

— أطلق النار .. لا تجعله يعبر الممر .. أطلق النار .

وبلا تردد ، أطلق الاثنان رصاصات مدافعهما ..

ودوى الانفجار ..



٣ — بين نارين ..

استرخى (كال) بجسده القوى ، فى مقعد (توماس)

الأخير ، ومد يده بلفظ سيجاراً كويّاً فاعترأ ، من علبة ذهبية

أنيقة ، ما تزال تحمل اسم (توماس موران) ، وأشعله بقداحة

ذهبية ، مرصعة بالماس ، ونفت دخانه فى عمق ، وهو يُسبل

جفنيه ، وقد ارتسمت على شفاهه ابتسامة عريضة كبيرة ..

لقد حصل أخيراً على ما يسعى إليه منذ عام كامل ..

على زعامة فرع (سكوربيون) فى (المكسيك) ..

سنة كاملة وهو يتصيد أعطاء (توماس) ، ويُلفها إلى قيادة

المنظمة أولاً فثانياً ..

وأخيراً ، سقط (توماس) ..

وبقى (كال) ..

وبابتسامة واسعة ، رُت على القداحة الذهبية المرصعة

بالماس ، قبل أن يدسّها فى جيبه ، قائلاً :

— معلومة يا عزيزى (توماس) .. سأستولى على قداحك

الشهيرة ، فلم تعد بحاجة إليها فى العالم الآخر .. أليس كذلك ؟



استغرقه أحلام القوة والبراء ، حتى أيقظه رنين الهاتف
المباغت ، فقفزت يده لتلصق ساعته

وتولدت ضحكة على شفتيه ، وهو يستطرد :

— هناك مسجد النيران حولك في كل مكان .

بدا لحظة وكأنه سينفجر ضاحكاً ..

ولكنه لم يفعل ..

لم يكن حتى ليفعل .

لقد كان من ذلك النوع الرصين ، الذي لا ينض قلبه سوى
بالقسوة والغلظة ، والذي لا يعرف في الدنيا سوى السعي وراء
الغزوة والسطوة ..

ولم تكن زعامة فرع (المكسيك) هي كل طموحه ، وإنما
كانت خطوة ، يتأهب بعدها ليل زعامة المنظمة في الولايات
المتحدة الأمريكية ، ثم الفوز بالزعامة المطلقة ، والجلوس على
عرش (سكوربيون) ..

ولبلوغ طموحاته ، ينبغي له أن يثبت دوماً أنه الأقوى ..
استغرقه أحلام القوة والبراء ، حتى أيقظه رنين الهاتف
المباغت ، فقفزت يده لتلصق ساعته ، وهو يقول :

— من المتحدث ؟

أناه صوت كثير الرجال ، يقول :

— لقد حصلنا على توقيع (برونكو) ، أيها الزعيم .

ابسم (كال) في اوتياح ، وهو يقول :

— عظيم .

أضاف الرجل :

— ها هو ذا يغادر المزرعة مع ابنته ، حاملاً تلك الحقيبة ،

التي تحوى العشرة آلاف دولار .. هل أطلق النار على رأسه

وأصيدها ؟

أجاب (كال) في هدوء :

— لا .. دغة يعض بها .

ثم ابسم مستطرداً في زهو :

— إنه خير دعاية لقوتنا .

سأله الرجل في لغة :

— وماذا عن ذلك الشيطان الآخر .. (أميجو) ؟

عقد (كال) حاجبيه ، وكأنما تذكر أمر (أدهم) على

التو ، وقال :

— ذلك منه .. لقد أرسلت خلفه طائرتي المليكوتير .

وعاد يهيم ، مستطرداً :

— يمكنك اعتباره الآن في خير كان ..

لم تكد المليكوتير الثانية تبرز أمام (أدهم) ، حتى برزت
لحظة جئونة في رأسه على الفور ..

لقد أدرك أن الفرار صار مستحيلاً ..

وأنه مامن وسيلة معقولة للنجاة ، ولقد حاصرته

الطائرتان ، وكأنما سقط بين مطرقة ومندان ..

مادم قد عدم كل الوسائل المعقولة ، فلم يفتأ أمامه سوى

اللجوء إلى الوسائل الأخرى ..

المجنونة ..

وفي اللحظة التي تبادل فيها قائدا المليكوتير أمر إطلاق

النيران ، كان (أدهم) يندفع بالسيارة نحو صخرة مائلة

بارزة ، ويرطم بها ، فقفز ميارته كحيوان كنجارو نشط ..

وعندما ضغط الطياران أزرار إطلاق المدافع الرشاشة ، بدا

لهما المشهد كله أشبه بكايوس رهيب ..

لقد قفزت سيارة (أدهم) ، وطارت في الهواء ،

وارطمت بها الرصاصات ، في نفس اللحظة التي قفز فيها

(أدهم) منها ، واتسعت عيناه قائدا المليكوتير الثانية في

زُعب ، عندما رأى السيارة تندفع نحوه كالصاروخ ، وصرخ :

— بالشيطان !!

وهتف الطيار :

— بمسدس واحد ١٢... من الواضح أن فرصتك في النجاة
تحتاج إلى الكثير من الحظ ، لتبلغ الصفر .
ولكن (أدهم) أطلق رصاصات مسدسه بكل الهدوء
والثقة والثبات ، وهو يفهم في سخرية :
— يبدو أنك لا تتعلم من أخطائك أيها الوغد .
وتفجر غيظ شديد في أعماق الطيار ، عندما أصابت
رصاصات (أدهم) ذراع الرشاش الثاني ، فسقط مرتطمًا
بالأرض كقنبلة مكتومة ، وهتف الرجل في سخط :
— مالك من شيطان حيث !.. لقد جرّدتني من سلاحى .
ثم دفع ذراع القيادة إلى الأمام مستطرذا :
— ولكنى ما زلت ألتفّق عليك .
مالت المليكوكوتر ، والدفعت نحو (أدهم) بكل سرعتها ،
والطيار يصرخ في ثورة :
— سأسحقك سحقًا .
ولكن (أدهم) انحنى بجسده فجأة ، وترك المليكوكوتر
تعبّر فوقه ، ثم قفز متعلقًا بقالمها السفلى ...

وفي نفس اللحظة التي ارتطبت فيها قدمها (أدهم)
بالأرض ، وتدحرج فيها جسده مبتعدًا ، ارتطمت السيارة
بالمليكوكوتر ، و.....
وقدوى الانفجار ..

انفجار رهيب مذهل ، أطاش صواب قائد المليكوكوتر
الأخرى ، الذي رأى المليكوكوتر زميله تفتت أمام عينيه ، فراح
يصرخ في جحش :

— مستحيل !.. مستحيل !

وأمام عينيه ، راح (أدهم) يعدو مبتعدًا ، وحطام
المليكوكوتر والسيارة يتهاوى مشتعلاً حوله ، فصرخ قائد
المليكوكوتر الأخرى :

— لن تنجو .. لن تنجو أبدًا .

وانطلق بالمليكوكوتر بجناز سحابة الدخان ، التي صنعها
الانفجار ، في محاولة لمطاردة (أدهم) ، ولم يكده يلحقه يعدو ،
حتى ضغط أسنانه بعضها بعض ، وقال في حزم :

— لقد انتهت أيها الشيطان .. انتهت .

وفجأة ، توقّف (أدهم) عن القلي ، وسحب مسدسه
من حزامه ، واستدار يواجه المليكوكوتر .

واحتل توازن المليونكوتر من قُزط المفاجأة ، ومالت مع ذلك الثقل المفاجئ ، ولكن مهارة قائدها منعت تحطم مروحتها على الأرض ، على الرغم من دُفوله ، وهو ينف :
— مستحيل !!

ولفجأة ، وجد (أدهم) إلى جواره في كايبة القيادة ، يقول في سُخرية :

— معذرة .. أيجب أن التفتل عليك قليلاً ؟

قفزت يد الرجل إلى مئذنة ، المعلق في حزامه ، ولكن قبضة (أدهم) أحاطت بمعضة ككلاية من الصلب ، وامتلأت قبضته الأخرى تمسك عصا القيادة ، وهو يقول في هدوء :

— وهكذا تستقبل حيولك ذوقاً ؟

لم تكذب عين الرجل تقعان على وجه (أدهم) ، حتى امتلأت ملامحه بالثُعب والذُفول ، وانعقد لسانه ، فلم ينس بحرف واحد ، و (أدهم) يبط بالمليونكوتر في سلامة ، كما لو كان طياراً محترفاً ، يفعل هذا جليئة عمره ، قبل أن يدفع الطيار خارج المليونكوتر ، فور هبوطها ، وهو يقول في سُخرية :

— معذرة أيها الوغد .. لقد اضطررتي أنت وزميلك إلى التخلي عن وسيلة الانتقال التي أملكها ، وأجد نفسي مضطراً للحصول على وسيلة أخرى أكثر تطوراً .

لم ينس الرجل بنت حقة ، وهو يخلق فيه في دُفول ، فأحذف (أدهم) :

— بلغ تحياي إلى الوغد الجديد ، الذي سيحل محل (توماس) .

وارتفع بالمليونكوتر في بساطة ، وهو يلوح بكفه للرجل في سُخرية ، والرجل يتابعه في دُفول تام ، حتى ابتعدت المليونكوتر ، فهتف :

— يا للشيطان !! .. ونحن الذين كنا نصور أنه قد لبس مصرعه منذ أربعة شهور !!

راح يتابع المليونكوتر مرة أخرى في دُفول ، قبل أن يستورد :

— أراهن أن هذا الخبر سيثير دُفول الرؤساء ، و.....

بتر عبارته بضة ، وعقد حاجبيه ، وهو يقول :

— ولكن هناك من يمكنه أن يدفع ثروة مقابل هذا .

وابنم في شهوة ، مستطرد ١٥ :

— وأنا أعرف كيف أحصل على هذه الثروة ..

وفي أعماقه ، انطلقت ضحكة ظالفة ..

لقد تعرفت خصمه ..

وأدرك هدفه ..



٤ — الخيرة ..

انطلق (أدهم) بالهليكوبتر في سلامة نحو مزرعة
(برونكو) ، وهو أشد خيرة من ذي قبل ..

إنه يقود الهليكوبتر ببساطة شديدة ، وهذا يبدو دهشته
أكثر ..

ما حدود قدراته ١٢ ..

كان هذا السؤال يُخيره ..

إنه يفعل تقريبًا كل ما يجب أن يفعله ..

ويكشف في نفسه مهارات جديدة في كل مرة ..

بل إنه مازال يشعر أنه لم يستخدم كل طاقاته ومهاراته

بعد ...

ما زال يشعر بطاقة هائلة في أعماقه ..

طاقة جعلته يتساءل في كل لحظة : من أنا ١٢ ..

أدرك — دون الحاجة إلى الكثير من الذكاء — أنه حتمًا ليس

برجل عادي ..

وليس بصاحب مهنة تقليدية ..

إنه حتمًا ينتمي إلى جهاز خاص ..

أو منظمة خاصة ..

أثارت النقطة الأخيرة قلقه ..

أيمكن أن يكون متصلاً إلى منظمة إجرامية مثلاً ؟ ..

إنه يجيد إطلاق النار ، وقيادة السيارات والطائرات ،

وعقله يحشد بعدة لغات ولهجات ..

للمعاذير تلك كل هذا ؟ ..

أنكرت عليه غريزته تمامًا اتناؤه إلى منظمات إجرامية ، إلا

أنه لم يلبث أن سأل نفسه : كيف أتيت إلى صحراء

(المكسيك) إذن ؟ ..

بداله أنه من الممكن أن يكون ضحية لحرب عصابات من

نوع ما ، أو لصراع بين منظمات قوية ، مثل (سكوريون)

و (المالفا) ..

لم يكد اسم (المالفا) يرد ببلعنه ، حتى راحت ذاكرته

تستعيد صورًا وأحداثًا ولقاءات متفرقة سريعة ..

دون (ريكاردو) ..

دون (كارلو) ..

دون (مايكل) ..

(جروشو مانيان) ..

دونا (كارولينا) ..

لم يكد اسم الأخيرة يرد إلى ذهنه ، حتى خامره شعور غريب

بالارتياح ، جعله يسأل نفسه مرة أخرى : هل أتنتمي إلى

(المالفا) ؟ ..

تلاشت كل تلك الأفكار من ذهنه دفعة واحدة ، عندما

وقع بصره بفتح عل (برونكو) و (ماريانا) ، وهما يستقلان

سيارة (برونكو) القديمة ، وينطلقان بها مبتعدين عن

المزرعة ، ففقد حاجبيه ، مغمضًا في قلق :

— لرى ماذا حدث ؟

هبط بالهليكوبتر نحو السيارة ، ورأى (برونكو) يتطلع

إلى الهليكوبتر في قلق وخوف ، فلوّح بيده منها ، هاتفاً :

— إنه أنا ... (أميجو) .

اتسعت عينا (برونكو) ، وهو يردد في دُخُول :

— (أميجو) ؟ ..

أما (ماريانا) فقد راحت تتطلع إلى الهليكوبتر ، التي يسيط

بها (أدهم) ، وقد ضعف دُخُولها أمام عبقان قلبها الشديد ،

حتى استقرت الهليكوبتر أرضًا ، وغادرها (أدهم) متجهًا

نحو السيارة ، فهتفت في حرارة وسعادة :

— (أميجو) .

أما (برونكو) فقد ظلَّ يحدّق في (أدهم) ذاهلاً ، حتى صار (أدهم) على قيد الحطّوات منه ، فهتف وهو يشير إلى المليونكوبتر :

— (أميجو) .. كيف أمكنتك أن تفقد هذا الشيء ؟

هزّ (أدهم) رأسه في خيرة ، وهو يقول :

— حدّقني ياسينور (برونكو) .. إنني ألقى على نفسي السؤال ذاته .

ومعه (برونكو) بنظرة غريبة ، تجسّع سابّين الشك والقلق . قبل أن يسأله (أدهم) في اهتمام :

— إلى أين ؟ .. لماذا غادرنا المزرعة ؟

أطردت (ماريانا) برأسها في حزن ، في حين عمغم (برونكو) في مرارة :

— لم نعد نملك المزرعة يا (أميجو) .

هتف (أدهم) في غضب :

— هل أتى رجال (توماس) ؟

أوماً (برونكو) برأسه إيجاباً ، وقال في حزن :

— نعم .. ولقد وقّعت العقد .



أما (ماريانا) فقد راحت تنظّل إلى المليونكوبتر ، التي سيط بها (أدهم) . وقد ضعفت فُهوفاً أمام أحشاش قلبها الشديد ..

الغدا حاجبا (أدهم) في شدة ، وهو يقول :

— عطا .

ثم (فرى حرارة ، مستطردا في حزم :

— ولكن الحرب لم تنته بعد .

هتف به (برونكو) :

— لا يا (أميجو) .. أرجوك .. لا حروب بعد الآن ..

لقد ابتاع سنور (توماس) المزرعة ، وانتهى كل شيء .

قال (أدهم) في حدة :

— لم يقد (توماس) قادرا على ابتاع بموضه .. لقد لقي

مصرعه يد رجاله .

استعت عنها (برونكو) ، وهو يهتف :

— لقي مصرعه ١٢ .. يا إلهي ! .. هذا يعني أن (كال) هو

الزعيم الجديد .. لقد سمعهم يتصلون به لاسلكيا ، ليخبروه

بإتمام البيع .

سأله (أدهم) في اهتمام :

— من (كال) هذا ؟

أجابته (برونكو) وصوته يرتجف :

— إنه شيطان آدمي .. نصف أمريكي ونصف

مكسيكي .. وكان يعمل محاميا لـ (توماس) .

عنهم (أدهم) :

— إذن فهو ذلك المحامي .

سأله (برونكو) في دهشة :

— هل التقيت به ؟

لوح (أدهم) بكفء ، قائلا :

— ليس بما يكفي لتعرفه .. هيا .. أخبرني كل ما لديك عنه .

التقى (برونكو) نظرة قلقة على الهليوكوبتر ، وقال :

— أليس من الأفضل أن تبعد عن هنا أولا ؟

ابتسم (أدهم) مشفقا ، وقال وهو يقفز داخل العربة :

— فليكن .. ابعد هنا ، وأخبرني بكل ما لديك .

انطلق (برونكو) بالسيارة ، مبتعدا عن الهليوكوبتر ،

وهو يقول :

— قد يبدو للجميع — ظاهريا — أن (توماس) هو

الشرير الساذق المتوحش ، في حين أن (كال) هو الإصين

المهادئ ، ولكن الحقيقة هي أن كليهما شرير حقير ، ولا فارق

بينهما سوى أن (توماس) يصنع ضجيجا عتيقا ، وهو يقتل

ضحيته ، في حين يكفى (كال) بانسامة هادئة رصينة ، وهو

يتر أطراف الضحية ، ويتزع أظفارها ، قبل أن يشوى ماتبقى

منها حباً ، وهذا الفارق يعود إلى أن البرميل الأجوف الفارغ
يصدر عادةً رنّاً أكبر من البرميل الممتلئ ، فلقد كان
(توماس) محدود التفكير والطموح ، لا يتنفس أكثر مما وصل
إليه ، بل كان يتصور أن تزعمه وسيادته لمنطقة (كيواوا) هو
أعظم ما يمكنه بلوغه ، في حين لا يقف شيء ما إلى سبيل
طموحات (كال) ، الذي قد يسمى لتبل منصب رئيس الدولة
نفسه .

سأله (أدهم) :

— وكيف علمت كل هذا ؟

هزّ الكهل كتفيه ، وهو يجيب :

— لا أحد يبهر من هو (كال) .. إن تاريخه حافل بأسماء
من حطّهم وداسهم بأفئدانه ، ليبلغ ما بلغ ، وأولهم والده
الأمريكي ، الذي أبلغ عنه بتهمة الجاسوسية ، ليضيقن تقربه
من كبار الدولة واكتسابه لثقتهم ، ثم أستاذة في الجامعة ،
وعشرات غيرهم .

غمغم (أدهم) في اخترازال :

— والده ١٩

أثار هذا الموقف بالذات ختفه واحضاره ، دون أن يدرك
السبب ..

وكان السبب كامناً في أعماقه ..

في ذكرياته الغائبة ..

في عرويته ..

لقد كان عقله الباطن يحمل ذكرى والده ، رجل المخابرات
السابق ، الذي اختاله (الموساد) قديماً^{١٩} ..

والده الذي صنع منه (رجل المستحيل) ..

وكانت عرويته تأتي عليه أن يمسّ الابن والده ..

في أعماقه كان هناك احرام كبير للأبناء ..

والأُسرة ..

وبكل خيبرته في البحث عن هُويته ، زفر (أدهم) في قوة ،
وقال :

— هذا يقضي بكل بساطة ، أن (كال) هذا وحش
أدمى .

غمغم (برونكو) في صوت خافت مرتجف ، وكأنه يخشى
أن تبلغ كلماته مسامع (كال) :

(١٩) راجع قصة (ملائكة المحيم) .. المغامرة رقم (٦١) .

— بل هو أبشع من ذلك .. إن (كال) هذا أعطبوط ..
 أعطبوط متوحش ، تمتد أذرعته في كل مكان ، ولا أحد ينجو
 من مصائده أبدا .. صدقني .. ليس من الحكمة أن تُلقي نفسك
 بين أذرع أعطبوط .

شرد بصر (أدهم) ، وهو يقول :

— هذا يقين أن الحرب بيني وبينه مستشعل في شدة ..
 وتحمل لـ (برونكو) وابنته أن شيئا من الجدل قد تسلك إلى
 طعنة (أدهم) ، وهو يستطرد :

— وأن الجميم سيفتح أبوابه .. عن آخرها .



٥ — الجميم ..

حذق (كال) في وجه الطيار في دُخُول ، وهذا الأخير
 يروى ما حدث بصوت متلهج ، ولهجة ملؤها الانفعال ، حتى
 انتهى الطيار من روايته ، فهتف (كال) في غضب :

— رجل واحد ، هزم طائرتين ١٢

هتف الطيار :

— إنه ليس مجرد رجل عادي .. إنه شيطان ..

بدا الغضب على وجه (كال) لحظات ، ثم لم يلبث أن
 سطر على انفعاله في سرعة كعادته ، ولفث دُخان سيجاره ،
 مرددا على نحو بدا أشبه برجل يتحدث إلى نفسه :

— حطمت طائرتين بمفرده ١١

وشرد ببصره لحظات ، ثم قال للطيار :

— قُل لي يا رجل .. لقد عملت من قبل في التحاسرات
 الأمريكية .. هل التقيت حينذاك برجال مثل هذا ؟

غمغم الطيار :

— ليس تماما .

مال نحوه (كال) ، وتطلع إلى عينه مباشرة ، وهو يسأله :
— باختصار .. أنتقد أنه من المحصل أن يكون هذا الرجل
متصيا إلى المخابرات المركزية الأمريكية ؟

تبادل معه الطيار نظرة هادئة ، وهو يقول :
— إنه يعمل لحساب المخابرات بالتأكيد .
هتف (جوزيه) ، مفتش الشرطة ، الذي ظل صامتا طيلة
الوقت :

— ألم أقل لك ؟ .. إنه يعمل لحساب المخابرات الأمريكية
حقا .

عقد (كال) حاجبيه مفكرا ، وهو يقول :
— ولكن هذا لا يفيق أبدا مع أسلوبه .

قال (جوزيه) في عصبية :
— لا يمكنك أبدا أن تفهم أسلوب المخابرات الأمريكية .
ظل (كال) صامتا لحظات ، وبدا من ملامحه ، ومن
تقطيعه ، أنه يحصر ذهنه مفكرا ، قبل أن يتسم في هدوء ،
قائلا :

— ولا يمكنك استنتاج أسلوبه أيضا .
سأله (جوزيه) في قلق :

— ماذا يعني ؟

أجابته مبتحجا :

— أغني أنا ستخلص من (أميجو) هذا ، حتى ولو كان
يعمل لحساب الأمم المتحدة نفسها .

هتف (جوزيه) في عصبية :
— اسمع ياسنيور (كال) .. لست أحب التورط في أمور
مشبوهة ، خاصة وأن الخصم هذه المرة ينتمى إلى

قاطعه (كال) في هدوء :
— اطمئن يا رجل .. لن تكون اللعبة ساذجة كما تتوقع .

ثم أشار إلى رأسه ، مستطردا في شيء من الزهو :
— إن عقل هو الذي يعدّها .

تصحح الطيار ، وهو يقول :
— معذرة ياسنيور (كال) .. هل يمكنني الانصراف ؟

التفت إليه (كال) ، قائلا :
— بالتأكيد .

ثم عاد يتابع حديثه مع (جوزيه) ، قائلا :
— الخطة ستكون ذكية ومبكرة .

انضم الطيار في سخرية ، عندما بلغت عبارة (كال) الأخيرة
سماعه ، وهو يغادر الحجرة ، ويطلق بابها خلفه في هدوء ..

هو وحده كان يعلم أن عقل (كال) ، بكل عبقريته ، لن
يكفى للقضاء على ذلك الرجل ، الذى حطّم أنوف الجبابرة ،
في قارات العالم الست ..
هو وحده يعلم أن ذلك الخصم ليس مجرد مقامر
مكسكى ..

وليس حتى أحد رجال التقارير الأمريكية ..
هو وحده يعلم أن ذلك الخصم مصرى ..
وأنه رجل لريد من نوعه ..
(رجل المستحيل) ..

ولم يكد الطيار يبلغ حجبته ، حتى أغلق بابها خلفه في
إحكام ، ثم التقط هاتفه الخاص ، وضغط أزراره برقم خاص ،
غیر الخط ، ولم يكد يسمع تلك اللهجة الألمانية الخالصة ، التى
أجابته ، حتى قال بالألمانية سليمة :

— مرحبًا ياسيدى .. هنا (رودلف) .. أريد أن أتحدث إلى
السيدة (نورما كرينال) .. نعم .. هى بذاتها .. أجل نزيلات
فندقكم .. ماذا تقول؟ .. هل أمرت بعدم إزعاجها؟ .. لا ..
لا تقلق .. فقط أخبرها أننى أتحدث إليها بشأن (ن-١) ، الذى
عاد إلى الحياة ، وثق أنها مستنحك مكافأة سخية ، لأنك عرفت
أوامرها بعدم الإزعاج .. هيا .. إننى أنتظرك ..

وعلى شفتيه ارتسمت نفس الابتسامة الظاهرة الشائعة
ابتسامة وحش مفترس ..

صعد (أدهم) في درجات ذلك السلم الحشئ الصغير ،
وهو يحمل ذلّو الطلاء ، وراح يطلّ لافتة ذلك المتجر الصغير ،
الذى ابتاعه (برونكو) في قلب مدينة (كيواوا) ..
كان يعاون الرجل بكل إخلاص ونشاط ، دون أن يتنازل
عن تلك الفكرة التى رسخت في ذهنه ، بضرورة استعادة
المزرعة من يد (كال) ، حتى ولو أذى الأمر إلى تحطيم هذا
الأخير ..

وفي أحلامه ، كان (أدهم) يسترجع صورًا متفرقة من
ذاكرته الضائعة ..

وكان هذا يزيد من خيبرته ..

وعندما ابتاع (برونكو) ذلك المتجر ، بكل المبلغ الذى
حصل عليه مقابل مزرعته كلها ، أدرك (أدهم) أن الرجل
يُعاقب آلامًا نفسية رهبة ، وأنه يحتاج إلى هدنة ، فقرّر أن يتوقف
عن الصراع ليوم أو يومين ، ويتعاون مع الرجل في هدوء ،
حتى يستقر به العمل والمقام في المدينة ..



ورأى بطرف عينه خمسة من شباب (الهير) الأمريكيين .
وقد توقفوا بذراعاتهم البخارية .

ولكن هذه الهدنة لم تستمر حتى ليوم واحد .
كان قد بدأ في طلاء اللوحة على الفور ، بمجرد أن ابتاع
(برونكو) المتجر ، فور وصولهما إلى (كيواوا) ، في حين
انهك (برونكو) وابنته في جرد محتويات المتجر ، وإعادة
ترتيبه ، عندما تنامي إلى مسامعه هدير محركات خمس دراجات
بخارية تقترب ، ورأى بطرف عينه خمسة من شباب (الهير)
الأمريكيين^{٥١} ، وقد توقفوا بذراعاتهم البخارية ، واستراحتهم
الجلدية المزودة بالرسوم والنقوش العجيبة ، أمام المتجر ،
وراحوا يتطلعون إلى (برونكو) و (ماريانا) في سخرية ،
ولكنه واصل عمله في هدوء ، وكأنما لم يلمحهم ، حتى سمع
أحدهم يتف بد (ماريانا) :

— تعالى آيتها المكسيكية الحساء .. تعالى نشاهد جمالك
عن كتب ..

انكمشت (ماريانا) في خوف ، وانجھت بنظرة رجاء إلى
(أدلم) ، الذي توقف عن العمل ، ورمق الشبان الخمسة

(٥١) الهير : حركة شلبية معارضة للحروب ، ومنادية بالسلام ،
نشأت في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا ، عقب حروب (فيتنام) ،
في الستينات ، ولكن أفرادها انحرفوا إلى حياة هيجية ، وارتكب بعضهم
جرائم مفرزة .

بنظرة صارمة ، في حين رفع (برونكو) ذراعه ، وكأنها تحاول
حماية ابنه ، وهو يقول :

— لا مجال للبحث هنا أيها السادة .. انصرفوا أرجوكم .
تبادل الشبان الخمسة نظرات ماعرة ، وأطلق أحدهم
ضحكة عالية ، وهو يقول :

— لنصرف ١٢ .. هل جئنت يا رجل ؟
ثم ركل صندوق سيجائر بقدمه ، فقلب محتوياته كلها ،
وبعثرها على أرضية المتجر ، فانفجر رفاقه ضاحكين في
سخرية ..

وهنا انبث صوت (أدهم) ، وهو يقول في برود :

— اجمعها ، وأجدها إلى الصندوق .
تطلع الشبان الخمسة إلى (أدهم) في سخرية واستهتار ،
وقال أحدهم ، وهو يرمي إليه بسبائه :
— هل تحاول لعب دور البطولة يا صاح ؟
أجابته (أدهم) بكل برود وصرامة :
— قلت لك اجمع السيجائر وأجدها إلى الصندوق .

تبادل الشبان نظرات دعشة ، ثم استل كل منهم مديرة
حادة ، وراحوا يمشون بمدياتهم ، وهم يتطلمعون إلى (أدهم)
في سخرية ، فهبط (برونكو) في خوف :

— انصرفوا فقط أيها السادة .. أرجوكم .

أوقفه (أدهم) في صرامة :

— لا تنزع إلى بضعة أوغاد باستبور (برونكو) .

هبط أحد الشبان في غضب :

— أوغاد ١٢ .. كيف تجرؤ أيها الـ ..

قبل أن يتم عبارته ، كان (أدهم) قد قفز من السلم
الخشبي ، ودفع فرشاة الطلاء في فم الشاب ، وهو يقول في
سخرية :

— خطأ .. لا تصدّث ولمك مملوء بالطلاء .

جئن مجنون الشبان كلهم ، وانتزع زميلهم الفرشاة من
فمه ، وهو يصرخ :

— ستدفع الثمن غالياً .

ورفع الشبان مذاهم في وجه (أدهم) ..

أو هكذا أرادوا ..

لأحد يدري ..

كل مارواه المرأة ، وما اجمع عليه الشهود ، هو أن فلک
أحد الشبان قد انفجر فجأة ، وأن أسنان الآخر قد طارت
كالصواريخ ، في حين انشئ الثالث صارخاً في ألم ، ولقد الرابع
استقامة أنفه ، أما الخامس فسيقضى عمره كله يعق مائل ..

لقد رأى الجميع (أدهم) يتحرك فجأة في سرعة خرافية ، جعلته أشبه بـ فيليم سينافى ، يدار بسرعة القصوى ، ثم يتوقف بـ بحة ، وقد انحرش الشبان الخمسة الأرض تحت قدميه ، والدماء تسيل من أنوفهم المخطمة وفكوكهم المكسورة ..
ولى هدوء ، انحنى (أدهم) يلتقط خذبة أحد الشبان ، وهو يقول :

— ينبغي أن يسئوا هنا قانوننا يحظر حمل الأسلحة البيضاء .
والله (برونكو) بإيماءة من رأسه ، ولم يفارقه الدخول بعد ، في حين تحسنت (ماريانا) في انتهاز :
— يا لك من رجل يا (أميجو) !!

لم تكده تكمل عبارتها ، حتى ارتفع صوت سيارة الشرطة ، التي برزت بـ بحة ، كما لو أنها كانت تقف على أمة الاستعداد ، وتوقفت في عنف أمام المتجر ، وغادرها المفكش (جوزيه) ، وهو يقول في غضب :

— ماذا حدث ؟ كيف يحدث شجار كهذا في طريق رئيسي ؟

انهم (أدهم) ، وهو يقول في هدوء :
— ومن قال إنه شجار ؟

تطلع إليه (جوزيه) لحظة في خيرة ، ثم أشار إلى الشبان الخمسة ، قائلاً في غضب مصطنع :

— وماذا تسئى هذا ؟ ألم تضرب هؤلاء الشبان ؟
قال (أدهم) في هدوء ، وابسامته لا تفارق شفاهه :
— لا .. لقد ضرب بعضهم البعض .

تطلع إليه (جوزيه) مرة أخرى في خيرة ، وكأنما يربكه عدم التزام (أدهم) بالخطة التي وضعها (كال) ، ثم قال في غضب حقيقى :

— لا .. أنت ضربتهم ، ولدى شهود .

رفع (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول في دهشة ساخرة :
— شهود ؟! .. بهذه السرعة .

عقد (جوزيه) حاجبيه في غضب ، وقال في حدة :

— إننى أبقى القبض عليك بتهمة التشاجر .

وبسرعة أحاطت قلة من الجنود المكسيكيين بـ (أدهم) ، ووضع بعضهم الأغلال في معصميه ، وهو يقول في هدوء ، ودون أدنى مقاومة :

— لقد هاجموا أولاً ، وكنت أدافع عن نفسى فحسب .
قال (جوزيه) في صرامة :

— مقررّ الشهود هذا ، أوتفونه .

ثم التفت إلى مساعديه ، قائلاً :

— أرسلوا لي طلب سيارة إسعاف .

والفت إلى (أدهم) ، مستطرقاً في شجاعة :

— سيكون من سوء حظك أن يلقى أحد هؤلاء الشبان

مصرعه ، بسبب ضرباتك .

عندئذ فقط أدرك (أدهم) طبيعة القبح ، الذي أوقعه فيه

(كال) ..

وأدرك أن أحد الشبان الخمسة سيلقى مصرعه هذه

الليلة ..

وأنه هو التالي ..



٦ — القادمة ..

هبطت الطائرة القادمة من (ألمانيا الغربية) في مطار

(مكسيكو) ، وراح ركابها ينهون إجراءات الوصول ،

وعيونهم تكاد تلتهم تلك الفتاة الساحرة ، التي فاق جمالها كل

ما تغنى به الشعراء ، وما أبدعه الفنانون ..

كانت تبدو أشبه بتحفة من تحف الخالق (عز وجل) ،

رائعة الجمال ، مبهرة الخشن ، ذات قوام يديع ، ووجه كثار

الجنة ..

وكان جواز سفرها الألماني يحمل اسم (نورما) ..

(نورما كرينال) ..

وفي تعالي واضح ، وتجاهل مقصود ، لم تمر (نورما)

المطلعين إليها اهتماماً ، وهي تنهى إجراءات وصولها إلى

(مكسيكو) ، ولم تكد تغادر دائرة الجمارك ، حتى استقبلها

الطيار (رودلف) ، وهو يتسم ابتسامة واسعة ، قائلاً في

خجث :

— مرحباً بك في (المكسيك) ياسيوريثا (نورما) ،

أرجو ألا تكوني قد نسيت ثمن ما أخبرتك به .

أجابته في حزم :

— ليس قبل أن أثبت من صحة قولك العجيب هذا .

فتح لها باب السيارة ، وهو يقول :

— لقد رأيته بنفسى .

قالت في صرامة ، وهى تتخذ مقعدها داخل السيارة :

— لن يمكننى أن أصدق ، قبل أن أراه بنفسى .

دار حول مقدمة السيارة ، وقال وهو يتخذ مقعده أمام

عجلة القيادة ، ويدير اغرّك في انفعال واضح :

— لقد طاردته في شراسة ، قبل أن أثبت شخصيته ، ولقد

دمر هليوكوبتر (ماير) بقفزة مذهلة بسيارته ، ثم أسقط

طائرته وهو أعزل من السلاح ، واستولى عليها ... عندئذ رأيت

وجهه عن كعب ، وأصابنى الدهول .

عقدت حاجبها الجميلين ، وهى تتمتع في خيرة :

— ولكننى فرأت بنفسى التقارير السرية لنصف مخبرات

العالم ، وكلها تؤكد أنه قد لقي مصرعه في انفجار وكر (بانشو

سيلازر) .

قال في لهفة :

— محال .. أتصورين وجود رجل آخر ، في العالم كله ،

يمتلك نفس قدراته ، وجراته الجراحية ؟

بقيت صامتة لحظات ، قبل أن همز وأسيها ، قائلة :

— مستحيل !

ابتسم (رودلف) في لحث ، عندما بدا من الواضح أنها

تقتنع برأيه تدريجياً ، وقال في لهفة :

— كنت سأخبر (كال) بالأمر ، فهم سيهتمون كثيراً

بالخير في (سكويون) ، ولا ريب أن الزعيم الكبير سيدفع

مليون دولار على الأقل لثنا له .

ابتسمت في ضحكة ، وهى تقول :

— لهذا طلبت منى مليوناً ونصفاً !

اتسعت ابتسامته الخفية ، وهو يقول :

— إننى أعلم أنك أكثر مخلوق في العالم أجمع ، يستحق بأمر

(أدهم صبرى) ، كما أعلم أنك بعد أن تركت (الموساد) ،

رحلت تستغلين محرك في الإيقاع على يدي (أوربا) ، وانتاز

أموالهم ، حتى صرت تملكين ثروة هائلة ، وسلسلة مصانع في

(ألمانيا الغربية) ، واسم (نورما كرينبال) ، بعد اسمك

الحقيقى (سونيا جراهام) .

بدت الشراسة في ملامحها بضة ، وهى تقول :

— لو ذكرت هذا الاسم مرة أخرى ، فسأنتزع لسانك من

قاعدته .



اتسعت ابتسامته الخيفة ، وهو يقول :

— إنني أعلم أنك أكثر مخلوق في العالم أجمع ، يحتم بأنمر

(أدهم صبرى) ..

هتف مخلصاً :

— لن الفعل .. أقسم لك

وإن عليهما صمت متوثر لحظة ، ثم قالت (سونيا جراهام)
في صرامة :

— اسمع يا (رودلف) .. لقد تركت في (يون) أعمالاً
ترى قيمتها على ستة ملايين دولار ، ولو أنك كنت واهماً
أو كاذباً فسوف

قاطعها في حماس :

— مطلقاً .. لقد رأيته بنفسى ، وأنا واثق من أنه هو ..
لا يمكننى أن أعطى تعزله ، فلقد كنت أحمل صورته في جيبى
دوماً ، أيام كنت أعمل لحسابكم في (الموساد) ،
عقدت حاجبها ، وكأنها تحاول استيعاب الأمر ، ثم قالت
في حزم :

— اسمع يا (رودلف) .. سأمنحك المليون ونصف المليون
دولار ، ولكن بشرط واحد
أسرع يقول :

— سأوافق على كل شروطك ، مقابل نصف هذا المبلغ
قالت في صرامة :

— لا بأس .. شرطى الوحيد هو ألا يعلم مخلوق واحد بأمر وجود (أدهم صرى) على قيد الحياة ، لو أنه كذلك بالفعل ، سوى وأنت فقط .
قال على الفور :
— ليكن ..

الضفت إليه ، وهى تقول فى حزم :
— لتعلم إذن أننى لا أغفر لمن يمدعوننى أبداً ، فلو أبلغت أى مخلوق آخر بالأمر ، فستكون فى هذا نهايتك .
ارتجفت فى رعب ، وانخفض صوته ، وهو يتعمم :
— بالتأكيد يا سيورىنا .. بالتأكيد .
زآن عليهما ذلك الضمت المتكرر مرة أخرى ، قبل أن تسأله فى صرامة :

— وأين هو الآن ؟
جاءتها إجابته كالتقبلة ، وهو يقول فى الضباب :
— فى السجن ..

رفعت حاجبها فى دهشة ، ثم لم تلبث أن استرخت فى مقعدها ، وهى تقول فى صوت خفيض ، يحمل الكثير من الثقة :
— إنه هو ..

الضفت عينا (كال) بريق ظافر وحشى ، وهو يستمع إلى (جوزيه) ، ثم ارتسمت على شفاهه ابتسامة هادئة ، لا تعكس أبداً ذلك الانفعال العارم ، الذى تخرج به نفسه ، وقال :
— إذن فقد نجحت لحظتنا ، وأمكنك إلقاء القبض عليه ، وإيداعه السجن ..

هز (جوزيه) رأسه فى قلق ، وهو يقول :
— إنه لم يقاوم إلقاء القبض عليه قط .
قال (كال) ، وعيناه تردادان انهماغا :
— عظيم .

هتف (جوزيه) :

— بل هو أمر مقلق للغاية .

رفع (كال) أحد حاجبيه ، وهو يقول فى سخرية :
— مقلق ؟

أجابه (جوزيه) فى حدة :

— بالطبع ، لعدم مقاومته بغنى أمرا من الدين ، إما أنه شخص مثالى للغاية ، أو شخص يتقن تماما فى أن إلقاء القبض عليه لن يغنى الكثير ، لأنه يعمل لصالح الحكومة نفسها .
اجسم (كال) وهو يقول فى سخرية :

— أو شخص يجهل ما يحد له ، ويتق في عدالة القضاء
والشهود .

ثم لؤج يده مستطردا :

— ولأنا بدورنا نثق في نزاهة القضاء ، فإن الأمر سيبر
على نحو قانوني تماما .. لقد ضرب (أميجو) الشبان الخمسة ،
وأفقدتهم الوعي ، والليلة سيلقى أحدهم مصرعه ، ويقرر
الطبيب الشرعي أن ذلك قد حدث بسبب قبضات منيور
(أميجو) ، وفي صباح الغد يصدر القاضي أمرا بترحيله إلى
السجن ، وفي الطريق إلى السجن ، يحاول (أميجو) الفرار ،
و.....

مد يده إلى الأمام ، وابتم وهو يضم ثلاثة من أصابعه ،
ويبرد سبابه وإبهامه على هيئة سدس ، مكتملا :
— بالغ .. بالغ .

هتف (جوزيه) :

— نطلق عليه النار ! .. رائع ياسنيور (كال) .. إنها
خطة عبقريّة .

اجسم (كال) ، وقال :

— وماذا تنتظر مني ؟

ثم أضاف وعينه ترقان في شهوة مزهوة :
— إنني الزعيم .. الزعيم المنظر ..

تطلع طبيب المستشفى العام في (كيواوا) إلى الرجل
النحيل البارد الملامح ، الذي يقف أمامه جامدا كتمثال من
صلب ، وقال في توتر :

— ولكن ما تطلبه مستحيل ياسنيور (فرناندو) .

أجابه (فرناندو) بصوت أشد برودة من ملامحه :

— يبدو أنك قد أسأت الفهم ياسيدى الطبيب ، فسنيور

(كال) لا يطلب .

وقفت لهجة على نحو خفيف ، وهو يضيف :

— إنه يأمر .

ارتعجت عضلات وجه الطبيب ، وراح يفرك أصابعه في

توتر بالغ ، وهو يقول :

— أعلم ذلك ياسنيور (فرناندو) ، ولكن ما يأمر به

سنيور (كال) هذه المرأة أمرا بشقا .

وبدا شديد العصبيّة ، وهو يضيف :

— إنه جريمة قتل .

ذاعب (فرناندو) مسلّمه ، الذى يتضح على نحو واضح
أسفل سترته ، وهو يقول بنفس اللهجة الباردة القاسية :
— مارأيك بمجهلها جرمين ؟

ارتجف الطبيب ، وحُجب وجهه فى شدة ، وقد أدرك
المعنى المستتر خلف عبارة (فرناندو) ، الذى مدّ يده إليه
بمحمل صغير ، يخوى سائلاً شفاهاً ، القطة الطيب بأصابع
مرتبطة ، واتجه نحو فراش أحد الشبان الخمسة ، الفافدى
الوعى ، وكشف عن ذراع الشاب ، ودفع إبرة الحقن فى
عروقه ، ودفع فيها ذلك السائل ، ثم اغمض عينيه ، وراح
يرتجف فى قوة ، وهو يسحب إبرة الحقن ، مغمغماً :

— فليخسر لى الله .. فليخسر لى الله ..

ولم يكن يعلم لحظة أنه لم يتركب جرعة قتل فحسب ..
لقد وضع اللبنة الأولى فى لحظة إعدام كبرى ..
إعدام (أدهم صبرى) ..

٧ — سونيا ..

بعض الحاكم (خوان) من خلف مكبه ، وبدأ الانبهار
واضحا فى وجهه وعينه ، وهو يستقبل (سونيا) فى مكبه ،
ومدّ يده بصفاتها ، هاتفاً :

— مرحباً بك فى (كيووا) ياسنيوريتا .. لكم سعدنا أن
تشرّف مدينتنا بزيارة فائنة مثلك ..

منحته (سونيا) أفضل ابتساماتها ، وأكثرها جاذبية ،
وهى تصافحه بأطراف أصابعها فى رقة ونعومة ، قبل أن تجلس
على المقعد المقابل لمكتبه فى دلال وفضة ، وتلقط من غلبة
عجائرها سيجارة رفيعة ملوثة ، وتدمتها بين شفتيها الجميلتين ،
وهى تتطلع إلى الحاكم بنظرة خاصة ، جعلته يهبط ملتقطاً
قلذاحه ، ثم ينحنى فى لحظة ليشعل بها سيجارها ، التى التقطت
هى منها نفساً عميقاً ، نفحة فى هواء الحجيرة فى عرق ، قبل أن
تبسم ابتسامة ساحرة أخرى ، وتقول فى صوت غفيض :

— شكرًا ..

تملّئت أسارير الحاكم ، وكأنها حصل لقوة على رئاسة الدولة
كلها ، وعاد يجلس قائلًا فى حماس :

— نحن في خدمتك جنتيها ..

ابتسمت في لفة ، وقد أدركت أنها قد رجت الجولة الأولى
من المعركة بفتتها كالعتاد ، فاسترخت أكثر في مقعدها ،
وعادت تلتف ذئبان سيجارها في عمق ، قبل أن تتطلع بعينها
الساحرتين إلى عيني الحاكم مباشرة ، قائلة :

— كان لدى مطلب هنا ..

هتف الحاكم في حماس :

— كلنا رهن إشارتك ياسينوريما (نورما) ، فأنباء
لجاحك وثرائك تملأ العقول والآذان ، ومدينتنا بهم بتشجيع
رغوى الأموال الأجنبية على الاستئثار ، و.....

قاطعه في نعومة :

— الأمر لا يتعلق بالاستئثار هذه المرة .

بدت الدهشة على وجهه لحظة ، ثم لم يلبث أن سأها في
اهتمام :

— ماذا إذن ؟

زلت إليه بعينها في دلال ، وهي تقول :

— إنه شخص ..

تراجع الحاكم في مقعده ، وتسلل بعض القلق إلى صوته
وملامحه ، وهو يهمهم :

— شخص ١٩

أومات برأسها إيجاباً ، قبل أن تستطرد :

— إنه رجل كان يعمل لدى ، وسرق مني مبلغاً كبيراً من

المال ، ثم قرأ لي هنا .

اعتدل مرة أخرى ، وسأها في اهتمام :

— من هو ؟

قالت وهي تدرس ملامحه :

— إنه رجل يُدعى (أميجو) ، كان يعمل في مزرعة رجل

يُدعى (برونكو) ، و.....

قاطعها في دهشة :

— أتقصدين ذلك المجهول ؟

رفعت حاجبها في دهشة حقيقية ، وهي تقول :

— مجهول ؟

أوما برأسها إيجاباً ، وقال :

— نعم .. لقد عثر عليه (برونكو) مصاباً في الصحراء ،

ولاقده الذاكرة .. هذا ما أخبرني به (برونكو) بنفسه منذ

ساعة واحدة ، وهو يتوسط لإطلاق سراح (أميجو) هذا .

اعتدلت (سوليا) ، وهي تقول في انفعال :

٧٣

لم يخطر هذا الاحتمال ببالها قط ..
 لم تضعه وسط عشرات الاحتمالات الأخرى ، التي درستها
 في عمق ، منذ اتصل بها (رودلف) ؛ ليلها أن (أدهم
 صبرى) مازال على قيد الحياة ..
 لقد تصوّرت أنها مخدعة ..
 مخدعة من (رودلف) ..
 أو من الخبايا العامة المصرية ..
 تصوّرت أن (أدهم) يؤدى مهمة جديدة ..
 أن خير موته مجرد لحظة محبوبة ..
 أو جزء من لحظة ..
 ولكنها لم تصوّر أبداً أنه فقد الذاكرة ..
 لم تصوّر مطلقاً أن رجلاً مثل (أدهم صبرى) يمكنه أن
 يفقد شيئاً ..

حتى ذاكرته ..
 ولقد أربكها هذا كثيراً ، حتى أنها ردّدت مرّة أخرى :

تطلّع إليها الحاكم في خيرة ، وهو يفهم :



ولكنها لم تصوّر أبداً أنه فقد الذاكرة ..

لم تصوّر مطلقاً أن رجلاً مثل (أدهم صبرى) يمكنه أن يفقد شيئاً ..

— هل يملك أمره إلى هذا الحد ؟

غصمت في عصبية :

— أكثر مما تتصور .

ومعها نظرة شك وخذر ، وهو يقول :

— تجرد أنه سرق أموالك .

نفت دُخان سيجارتهما في حدة ، وهي تقول :

— بل لأكثر من ذلك .

نحت عشرات التساؤلات في عينيه ، فأضافت :

— لأسباب شخصية .

مطّ شفتيه ، وكأنما لم يرق له هذا ، وقال في لحفوت :

— ولكن موقفه شديد التعقيد الآن .

غصمت في قلبي :

— شديد التعقيد ١٢

أوما برأسه إيمائًا ، وقال :

— نعم .. وهذا ما دفع (برونكو) هذا إلى محاولة التوسط

له ، فلقد اشترك (أميجو) هذا أمس مع خمسة شبان ،

والفقد هم الوعي جميعًا .

قالت في توثر :

— أعلم ذلك .

ومعها نظرة شك أخرى ، وأضاف :

— ولقد لقي أحد هؤلاء الشبان مصرعه أمس .

هفت في ذهشة :

— ماذا ١٣

ثم اندفعت تقول في حدة :

— ولكن هذا مستحيل ، إن أو.....

بمرت عبارتها بغصة ، وحاولت أن تسرع بحى دابة في

مقعدها ، وهي تقول في توثر ملحوظ :

— أغنى أنه ليس من الطبيعى أن يلقى شاب مصرعه بسبب

لكمة .

مطّ الحاك شفتيه ، وقَلَبَ كفيه قائلاً :

— ولكن هذا ما حدث .

ثم مال نحوها ، مستطرذا في حزم :

— لقد قرّر الطبيب الشرعى أن الضربة هي سبب الوفاة ،

وبناءً على ذلك أصدر القاضى أمرًا بالتحفظ المطلق على

(أميجو) ، خاصة وأنه لا يعمل أوراقًا شخصية ، أو بطاقة

هوية ، وسيتم ترحيله إلى السجن العام مساء اليوم ، تحت

حراسة الشرطة .

عقدت (سونيا) حاجبها الجميلين ، وهي تتراجع في مقعدها ، وتفت ذخان سيجارها في ضيق ..

لقد فهمت لعبة (كال) ..

فهمتها بماذا من خبرة سابقة في مجال الخداع والتحايل ..

ومما أنبأها به (رودلف) عن خلفيات (كال) ..

وأدركت في هذه اللحظة أن (كال) هذا أخطبوط ..

أخطبوط رهيب ..

إنه يسيطر على القانون والطب والقضاء ..

أذرعته تمتد إلى كل مكان ..

إلى كل ركن في (كيواوا) ..

وأدركت في الوقت نفسه الجزء الباقى من اللعبة ..

الجزء الخاص بقتل المتهم ، وهو يحاول الفرار ، في أثناء نقله

إلى السجن العام ..

هى نفسها كانت ستضع خطة مماثلة في الظروف نفسها ..

ولا يفهم الذئاب سوى الذئاب ..

وفي أعماقها ، شعرت (سونيا) أن لعبة الذئاب قد

بدأت ..

وسرت في جدها نشوة الصراع ، وهي تسترخى في

مقعدها ، وترسم على وجهها أكبر قدر من اللامبالاة ، قاتلة :

— بالخسارة !!

شعر الحاكم بدعشة بالغة ، إزاء ذلك التحول المفاجئ ،

ففهم :

— ألا يقلقك أمره ؟

مجلت شفها ، وهي تقول في استهتار :

— إنه يستحق ما أصابه .

ثم شرذت ببصرها ، مسطردة :

— أه لو يمكننى رؤية الهزيمة على وجهه الآن .. هذا بشي

غليل .

والتفت إلى الحاكم بغتة ، ومنحه أكثر ابتساماتها دلالاً ،

وهي تردف :

— هل يمكننى هذا ؟

وأمام سحر ابتسامتها ، وجد نفسه يبتلع في حاس :

— بالتأكيد .

والقط ورقة من أمامه ، وخط عليها بضع كلمات ، ذيلها

بتوقيعه ، ثم ناولها إليها ، قائلاً :

— ها هو ذا تصرع بمقابله في سجنه .

تناولت الورقة ، وهي تقول في دلال :

— شكراً يا سيور (خوان) .. كنت أعلم أنك لن تغدلى.
وأطبقت قبضتها على الورقة في قوة ، طوال طريقها من
منزل الحاكم إلى سجن الشرطة ، حتى أن (رودلف) قال
بصاحته :

— إطمئنى .. لن يتزعجها أحد منك .

أجابته في صرامة :

— لقد السيارة في صمت .

و في أعصافها راحت المشاعر تتصارع وتخرج وتتأخر ..

إنها في طريقها الآن لرؤية (أدهم صبرى) ..

الرجل الوحيد الذى أذاقها المزيمة والمرارة ..

الرجل الوحيد الذى كرهته وأحبته في الوقت ذاته ..

كم يرجف هذا عروقها !!

كم يملأ نفسها بخوف منهم عجب !!

إنها في هذه اللحظة تصنئ رؤيته ، وتحشاشها في الوقت

ذاته ..

تصنئ أن تجلده على قيد الحياة ..

وأن تقتله ..

تحلم بأن تطلق النار على قلبه ..

وبأن تلقى نفسها بين ذراعيه ..

أى تناقض هذا ؟ ..

آية مشاعر تلك التى تجعلنا نحب ونكره في آن واحد ؟ ..

هل أى جنون ؟ ..

ولكن ماذا لو أنه لم يفقد ذاكرته حقاً ؟ ..

وأزدها ذلك الحاضر بخته ، فارتجفت ..

نعم .. ماذا لو أنه يلدغ الجميع ؟ ..

لن يدهشها هذا ، فلقد اعتادت من (أدهم) دائماً أن يأتي

ملاً يتوقعه الجميع .

حتى عندما يموت ..

ولكن لماذا تصنئ لو أنه قد فقد ذاكرته حقاً ؟ ..

لماذا ؟ ..

توارت كل أفكارها في عقلها دفعة واحدة ، عندما توقفت

السيارة أمام مركز الشرطة الرئيسى ، وقال (رودلف) :

— لقد وصلنا .

قالها بكل اللهفة التى عملاً نفسه لتبيل المكافأة ..

بكل شرايته للعمال ..

بكل الروح الصهيونية المسترة خلف اسمه الأملالى ..

وانتظت (سونيا) على الرغم منها ..

لقد حانت لحظة اللقاء ..

وحانت المواجهة ..

لقد استقبلها (جوزيه) في حرص ، وتناول منها نصريح

الزينة ، وراجعته عشرات المرات في خدر ، قبل أن يسألها في

شك :

— وما صلتك بـ (أميجو) هذا ؟

أجابته في برود :

— إنه صديق قديم .

مطّ شغبه ، قائلاً :

— ياله من محظوظ !

ثم أضاف في حدة :

— ولكننا سنفتشك أولاً ، فقد تخفين سلاحاً ، أو

قاطعه في ضجر :

— هلمّ إذن ، فأنا أكره الانتظار .

تطلّع إلى قوامها القاتن ، وهو يزدرد أعابه في صعوبة ، ثم

نعم :

— ستقوم بذلك إحدى الزميلات بالطبع .

أشار إلى شابة سمراء ، ترتدى زي الشرطة المكسيكية ،

فانجبت نحو (سونيا) ، وتأملت ملاحظتها الساحرة في حشد ، ثم

غمضت وهي تفتشها :

— الواقع أنه يستحق ، فهو أيضاً وسيم للغاية .

غمضت (سونيا) في برود :

— أعلم ذلك .

انتهت الفتاة من تفتيشها ، والتفت إلى (جوزيه) قائلة :

— إنها لا تحمل شيئاً .

عقد حاجبيه في ضيق ، كما لو كان يتمنى أن يُوقع

بـ (سونيا) في جريمة ما ، ثم قال في صرامة :

— ستزورينه لحمس دقائق فحسب .

قالت (سونيا) ، وقد ملأ الانفعال نفسها غمماً :

— إنها تكفيني .

تأملت السمراء مرة أخرى ، ثم قادتها إلى زنزانة صغيرة ،

فصحت بابها ، ودفعها داخلها ، وهي تقول :

— زينة خاصة لك أيها الوسيم .

التفت (أدهم) في هدوء ، وخفق قلب (سونيا) في
غرف ..

إنه حقا على قيد الحياة ..
وهاهي ذي تقف وجهها لوجه أمامه ..
أمام (أدهم صبرى) ..



التفت (أدهم) في هدوء ، وخفق قلب (سونيا) في غرف ..
إنه حقا على قيد الحياة ..

٨ — ذكريات ..

بدأت (منى) شديدة العصبية ، عندما بلغ (أدهم) بروايته هذا الحلة ، وغادرت فراشها ، الذى بقيت تستلقى فيه منذ رأت (أدهم) ، ووقفت أمام مرآتها ، تحاول تصفيف شعرها فى توكر ، وهى تسأله :

— وماذا فعلت عند رؤيتك (سونيا) ؟

ظل يتطلع غير النافذة ، وهو يقول :

— وماذا تتوقعين أن أفعل ؟

أزاحت لحصلة من شعرها الأسود عن جبينها فى عصبية ، وهى تقول :

— إننى أعرف أن (سونيا) فاتنة ، شديدة الحسن ، وأنه من العسير أن يقاوم رجل — أى رجل — فتها وسحرها ، ولن ألومك لو أنك

قاطعتها فى هدوء

— وهل عهدتني رجلاً تفقده النساء صوابه ؟

قالت فى توكر :

— (سونيا) ليست امرأة عادية ، ولقد كنت فاقده الذاكرة .

قال فى لحفوت :

— ربما .

ثم أضاف وهو يتطلع إليها فى حنان :

— ولكننا ليست الطراز الذى أفضله .

أدارت عينها إليه ، وتركت لحصلة شعرها تسقط على

عينها ، وهى تتمم فى لحفوت ولهفة :

— حقاً ؟

ابسم مغمغماً :

— هل تسألين ؟

تخضب وجهها بخمرة الحجل ، وأشاحت بوجهها فى

حياء ، قائلة فى ضيق :

— ولكنك تزوجتها .

لأذ بالصمت لحظات ، ثم أجاب وهو يدير وجهه إلى

النافذة :

— التسلسل المنطقي للأحداث هو الذى دفعنى إلى هذا .

سأله فى خنق :

— أى تسلسل ؟

تَهْدُ في عمق ، وراح يراقب قطرات المطر المتساقطة
لحظات ، ثم عاد يروي القصة ..
قصته ..

لم يتيسر أحدهما بنت شقة ..
لم يتطرق (أدهم) بحرف ..
لم تفرج شفتا (سوليا) عن حمسة ..
لقد بقي الاثنان ضامتين جامدين ، كتمثالين من رخام ،
وكل منهما يتطلع إلى وجه الآخر ..
ولى أعماق (سوليا) ، كان هناك قلب يخفق في خف ..
قلب يتصارع ما بين الحب والكراهية ..
ولى أعماق (أدهم) ، كانت هناك خيرة ..
خيرة رجل فقد ذاكرته ..
ولى هدوء ، قطع (أدهم) جبل الصمت ، قائلاً :
— سيُدق .. هل سبق أن التقينا ؟
ارتجف صومها ، وهي تسأله :
— هل تذكرني ؟

تمنن (أدهم) ملاحظها طويلاً ..

نعم ..

إنه يذكرها إلى حد ما ..

يذكر ذلك الوجه القاتن الساحر ..

إنه لا يذكر حتى النعيا ..

ولا كيف ..

كل ما يملأ ذاكرته ، وهو يتطلع إلى وجهها عبارة عن
صراعات عيفة ..

وقال ..

ولى كل عذبة من عذباته ، ارتسمت خيرة ..

خيرة أزال من قلب (سوليا) كل ذرة شك تجاهه ..

خيرة أبأنها أنه قد فقد ذاكرته حقاً ..

وأنه ليس عذوها السابق ..

بل مجرد رجل ..

رجل بلا ذاكرة ..

ويتس الخيرة ، أجاب (أدهم) :

— لست أدري يا سيدي .. لست أدري .. ربما لو ذكرت

اسمك ..

كادت تنف باسماها الحقيقي ، ولكن شيئاً من الخلد في
أصابعها جعلها نجيب :

— اسمي (نورما) .. (نورما كرينيال) .

عقد حاجبيه في محاولة للتذكر ، ثم لم يلبث أن هز رأسه بمزيد
من الخيرة ، مضطجاً :

— است أذكر الاسم للأسف .

ثم رفع عينيه إليها ، وسألها في اهتمام :

— ولكن ماذا عشت أنا ؟ .. إنك تعرفيني .. أليس
كذلك ؟

أومأت برأسها إيجاباً في بضع ، فسألها في لطف :

— من أنا إذن ؟ .. ما اسمي ؟ .. إلى ماذا أنتمي ؟

رئدت في رهبة :

— اسمك ؟

ولجأ ، خوياً صوت (جوزيه) في صرامة :

— انتهت الزيارة .

تهدأت في ارتياح ، لأن (جوزيه) قد وصل في هذه اللحظة
بالذات ، لينقلها من ارتباكها . في حين عقد (أدهم) حاجبيه
في صرامة ، وهو يقول :

— انظر قليلاً يا رجل .

برز عشرة رجال مسلحين بفتة ، وصوبوا أسلحتهم نحو
(أدهم) في خدر وتحفز ، و (جوزيه) تجذب (سونيا) إلى
الخارج ، قائلاً في حدة :

— لا .. لقد انتهت الزيارة .

هتف (أدهم) .

— ما اسمي الحقيقي يا سيورا (نورما) ؟

لم تجب (سونيا) ، بل أسرعت تبعد ..

لقد أدركت أنه فقد ذاكرته حقاً ..

ولكنها تحتاج إلى وقت لتحديد موقفها منه ..

وقت طويل ..

أما هو ، فقد أحس أنه انصرافها دون أن تبلغه اسمه الحقيقي ..

إنه يحتاج إلى معرفته ..

إلى تعرف هويته ..

ولي ضيق ، جلس في ركن زلزالته ، وراح عقله يستبعد

ما حدث منذ لحظات في إصرار ، ليبحث فيما ينتظره ..

إنه يعلم أن مسجته هذا مجرد خطوة ، ضمن خطوة محكمة ،

وضعها (كال) ..

لحظة تهدف إلى قتله ، والتخلص منه ..

لقد أخبره (برونكو) من نافذة الزنازة أن الشاب قد لقي مصرعه ، وأن القاضي قد أصدر أمراً بالتحفظ عليه هو ، وترحيله إلى السجن العام ..
ولقد استتج الخطوة التالية ..

إن (كال) يرغب في تغليف كل شيء بإطار قانوني ، لهذا لم يطلب من (جوزيه) ورجاله قتله في زنزانة قسم الشرطة ، بل سيدفعهم إلى قتله في أثناء عملية ترحيله إلى السجن العام ..
عليه أن يستعد لذلك ...
وأن يحمي نفسه ..

وفي هدوء يتناقض مع دقة الموقف ، استرخى (أدهم) ، وراح يشد لحظته ..
كالمتعاد ..

انطلق (رودلف) بالسيارة ، وهو يسأل (سونيا) في لحظة والفعال :

— هل الضيت به ؟ .. هل تأكدت من صحة أخباري ؟
أجابته في الغضب :

— نعم .

تهللت أساريره ، وهو يقول :

— هل سأحصل على المال إذن ؟

تطلعت إليه بظرف عينيها لحظة ، ثم قالت :

— بالتأكيد .

هتف في سعادة :

— هل تنطلق إلى البنك ؟

صمت لحظة ، ثم أجابته :

— بل إلى منطقة معزلة .. إنني أحتاج إلى بعض التفكير .

غمغم في ضيق :

— بالتأكيد .. لقد كانت صدمة .. لقد اتابني الشعور

ذاته عند رؤيته .

انطلق بالسيارة إلى منطقة معزلة ، قرية من الصحراء ،

وهو يشعر بختق بالغ ، وبعدم القدرة على الصبر لبثل مكافأته

الضخمة ، ولم يكده يوقف السيارة على مشارف صحراء

(المكسيك) ، حتى التفت إلى (سونيا) ، يسألها :

— ماذا ساعلين ؟

زفرت في عقم ، وتطلعت طويلاً إلى الصحراء الممتدة

بلا نهاية ، قبل أن تقول في صوت خافت :

— إلى أشعر بالخيرة .

سأها في دحشة :

— لماذا ؟ : إنها الفرصة التي تنتظرها للعودة إلى صفوف

(الموساد) .. لقد فصلوك بسبب هذا الرجل ، وسعيدونك

كالملكة ، عندما تلحين به إليهم ظافرة .

غمغمت وهي تشرح بوجهها :

— لم أغد بحاجة إلى (الموساد) .

جثف في دحشة :

— عجباً !! .. لقد تصوّرت ..

قاطعه مستطردة :

— لقد صرت سيّدة أعمال ثرية ، أربح في اليوم الواحد

ما يُلَوَّق راتني من (الموساد) لعام كامل .

جثف :

— وماذا عن انتقامك من (أدهم صبرى) ؟

غمغمت شاردة :

— انتقامي ؟

ولادت بالصمت لحظات ، قبل أن تستطرد بلهجة

مغايرة :

— أتعلم يا (رودلف) أنني أنساءل طيلة عُمري عن

شعوري الحقيقي تجاه (أدهم صبرى) ، هذا ؟ فقبل ظهوره في

حياتي كنت واحدة من القليلات في (الموساد) ، اللاتي لم يذفن

هزيمة واحدة في عملهن ، ولم يكد هو يظهر في الصورة ،

بقدراته الفائقة ، وشجاعته النادرة ، ومهاراته الخرافية ، حتى

انعكست الآية ، فلم أدق نصراً واحداً ضده ، ولم أنعم بظفر

واحد في كل صراعاتي معه .

غمغم (رودلف) :

— لا ريب أنك تكرهينه بشدة .

ابتسمت ابتسامة شاردة ، وهي تقول :

— ربما كان هذا شعوراً طبعياً بالنسبة لرجل يقاتل رجلاً ،

ولكنكم تسون جميعاً حقيقة بالغة الأهمية ، ألا وهي أنني

أنثى .. وكل أنثى — مهما بلغت قوتها — تحتاج إلى رجل يُشعرها

بضعفها .

وتنهّدت في عمق ، قبل أن تضيف :

— والرجل الوحيد في هذا الكون ، الذي منحني الشعور

بضعف الأنوثة ، هو (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

تراجع (رودلف) ، هائفاً في استنكار :

— (سونيا) .. هل تعشقين هذا المصري ١٢

أجابته في حدة :

— نعم .. هذا ما تأكدت منه عندما التقيت به منذ قليل ..

إنني أحب (أدهم صبرى) .. أحبه من أعماق أعماق ، ولم تكن
رغبتى الدائمة فى تدميره إلا نوعاً من التعبير عن هذا الحب ،
ومستطعلاً ، لأنه لا يشعر فى أبداً كأننى ، بل كخصم يقاتله .

ولوحى بدراعتها فى توكر ، مستطردة :

— أنعلم يتم شعرت عندما رأيت أمانى ٢ .. لقد تمثيت أن

ألقى نفسى بين ذراعيه .

هتف ذاهلاً :

— أنت ١٢ .. (سونيا جراهام) تمنى أن تلقى نفسها بين

ذراعى رجل ٢

أجابته فى حدة :

— ولم لا ١٢ .. ألسنت امرأة ؟

أجابها :

— بلى ، ولكن عظماء العالم أجمع توافوا تحت قدميك ،

وأغنى أغنياء الدنيا كانوا رهن إشارتك .

هتفت ساخطة :

— كلهم تعاملوا معى كغاية .

ثم أضافت فى تحفوت :

— فيما عداه .

وتنهتت تهيدة حائرة ، قبل أن تضيق :

— حتى فى صراعاتنا ، كان مهذباً جداً .. هل تصدق ٢

عقد (رودلف) حاجبه ، وقال فى ضيق :

— اسمعى يا (سونيا) .. اعشقى (أدهم صبرى) هذا ،

أو اقلبه شر قطة .. لا ينبغي هذا أو ذاك ، فقط امسحسى

مكافأتى ، وسأعود لأتقاعد فى الولايات المتحدة الأمريكية ،

وأنضم بالثراء .

بدا وكأنها لم تسمع عبارته ، وهى تتابع :

— أنعلم أية فرصة تلك ٢ .. لقد فقد (أدهم) ذاكرته ،

ولم يقدر رجل اخبارات المصرى ، الذى يقاتل معى دوماً .. لقد

صار عجيبة لئمة ، يسهل تشكيلها .

مط (رودلف) شطيه ، وهو يقول مستكزاً :

— هذا الشيطان عجيبة لئمة .

واصلت هى فى لشوة :

— تصور ما يمكن أن يحدث لو أمكننى جذبته إلى .. يمكننا أن نتزوج ، وأن أنعم أخيرًا بحياة هادئة جميلة ، مع الرجل الوحيد ، الذى أحبه فى عمرى كله .

عقد حاجبه فى خنق ، وهو يقول :

— حسنًا .. هنيئًا لكما .. ماذا عن مكافأتى أنا ؟

الطقت إليه ، قائلة فى هدوء :

— أنعلم ما العقبة الوحيدة ، فى سبيل تحقيق هذا الحلم

يا (رودلف) ؟

سألتها فى ضجر :

— ما هى ؟

فجأة ، ارتفع مسدسها فى وجهه ، وهى تقول فى شراسة

مباحة :

— أنت .

انسعت عيناه فى رعب ، والتصق بمقعده ، وهو يلوح

بكفيه ، هائلاً :

— أنا ؟ لماذا يا (سونيا) ؟ .. إننى لا أرفض زواجك

من هذا المصرى ، ولا حتى حبك له .. سأحصل على المبلغ

وأنصرف ..

جذبت إبرة مسدسها فى هدوء ، وهى تقول :

— ولكنك تعرف السرايا (رودلف) .. تعرف أن

(أدهم مصرى) مازال على قيد الحياة ، وأنت تعلم القاعدة :

« السر لا يبقى سرًا ، إذا ما تجاوز فردًا واحدًا » .

لوح (رودلف) بكفيه فى رعب هائل ، وهو يبتك

— لن أخبر مخلوقًا واحدًا يا (سونيا) .. أقسم لك .. إننى

حتى لا أريد المال .. احفظى به ، ولكن اتركينى أحيانًا ..

أرجوك .

قالت فى صرامة :

— غادر السيارة .

أطاعها (رودلف) فى سرعة ، ووقف خارج السيارة

يرتحف ، وهو يتطلع إلى فتحة مسدسها المصوِّبة إلى رأسه ،

ويهتف بلهجة أقرب إلى البكاء :

— أرجوك يا (سونيا) .. أرجوك .. أقسم لك إننى لن

أنطق بحرف واحد ، وإننى

أخبرته وصاصة أطلقتها (سونيا) بكل هدوء ، وتركها

تخترق حلق (رودلف) ، وتنفذ من جعبته فى مؤخرة رأسه ،

مع بعض عذايا من مخد ، قبل أن يسقط الطيار أرضًا جثة

هامة ..

وبكل هدوء ، انتقلت (سونيا) إلى مقعد القيادة ،
وأدارت محرك السيارة ، قائلة :

— لست أحب أن ألوث السيارة بالدماء .

ثم انطلقت عائدة إلى (كيواوا) ..

إلى الرجل الذي غبّ ..



أخبرته صاحبة أطلقيها (سونيا) بكل هدوء ، وتركها تحرق حتى
(روثلف) ، وتنفذ من هجمته في مؤخرة رأسه ...

صَبَّ (كال) لنفسه كأسًا من الشراب ، وراح يرتشفه في
بطء ، وهو يتأمل محتويات حجرة المكتب الفاخرة ، التي يجلس
فيها ..

لقد كانت منذ أيام حجرة (توماس) ..
والآن هي حجرته ..

لقد ارتفع درجة في ميل هدفه ..
وقد بدأ يصعد إلى الدرجة التالية ..
ثم التالية ..

والتي ..
حتى يستقر على عرش (مكوريون) ..
هذا هو طموحه الحقيقي ..

انتزع من أحلامه بفتة صوت (فرناندو) ، وهو يتصالح
قائلًا :

— مساء الخير أيها الزعيم .

رفع (كال) عينيه إليه في هدوء ، وارتشف رشفة أخرى
من كأسه ، قبل أن يقول :

— مساء الخير يا (فرناندو) .. هل جمعت المعلومات
المطلوبة ؟

أجاب (فرناندو) بلهجة الباردة :
— تقريبًا أيها الزعيم .

استرخى (كال) في مقعده ، وقال وهو يحسك كأسه
يكفيه :

— هات ما لديك .

قال (فرناندو) :

— جواز سفر تلك السيدة ألمان ، يحمل اسم (نورما
كربنيل) ، وهي سيدة أعمال ألمانية ثرية ، ظهرت منذ
ما يقرب من عام أو يزيد ، وجمعت ثروة هائلة في وقت قصير ،
ويرجع مندوبنا هناك أنها ليست ألمانية الأصل ، عل الرغم من
أنها تتحدث الألمانية بطلاقة كاملة ، وتحوز ثقة كل سلطات
الأمن هناك ، ولقد زارت السيدة (نورما) الحاكم (خوان)
هذا الصباح ، وطلبت منه إذنًا بمقابلة (أميجو) في سجنه ،
وكان يقود سيارتها طيارنا (رودلف) .

عقد (كال) حاجبيه ، وهو يقول :

— (رودلف) ؟ .. هل يعرفها من قبل ؟

أجاب (فرناندو) :

— هذا محتمل بالتأكيد ، فهو أيضا المال .

قال (كال) في حزم :

— لابد من استجوابه على الفور .

أجاب (فرناندو) بنفس اللهجة الباردة ، التي لا تحمل أية

الغفلات :

— لقد فقدنا أثره ، فلقد انطلق تمامًا منذ الظهر ، والسيدة

(نورما) تفقد سيارتها بنفسها الآن ، ولكن ليس هذا هو

المهم ، وإنما أهم ما في هذا الأمر ، هو أن (أميجو) راح يهتف

سائلا (نورما) عن اسمه الحقيقي ، وهي تغادر زفافه .

استدل (كال) ، وسأله في اهتمام :

— يسألها عن اسمه ..!؟ وهل أخبرته به ؟

هز رأسه نفيا ، وقال :

— لا .. لقد أصر (جوزيه) على إنهاء الزيارة .

عقد (كال) حاجبه ، وهو يقول في غضب :

— الحق ..!

ثم نهض من مقعده ، وهو يهتف :

— هذا الأمر عجيب جدًا يا (فرناندو) ، سؤال

(أميجو) يخفي أنه مجهل حقيقة شخصيته ، وقد يشير هذا إلى

فقدانه الذاكرة على نحو ما ، ومن المؤكد أن (رودلف) قد

تعرفه ، وأنه يعلم مدى اهتمام (نورما كرينال) هذه بتعرفه

أيضا ، لذا فقد أرسل يستدعيها ، وحاولت هي أن تلقي

(أميجو) في سجنه .. فلماذا ؟

التفت حاجبه في شدة ، وبدأ من الواضح أنه يفكر في

عمق ، ولزم (فرناندو) الصمت تماما ، احترامًا لصمت

زعيمه ، حتى ذل أحد رجال (كال) إلى الحجرة ، وتنحنح

قبل أن يقول :

— هناك سيّدة ترغب في مقابلتك أيها الزعيم .

التفت إليه (كال) ، يسأله في اهتمام :

— سيّدة ..!؟ من هي ؟

أجاب الرجل :

— إنها فاتنة ألمانية ، تدعى (نورما كرينال) .

استمتعنا (كال) ، وبرقنا ببرق عجيب ، في حين عقد

(فرناندو) حاجبه في شك ، دون أن ينس بيت شقة ،

فالتفت إليه (كال) ، قائلا في انفعال :

— لقد جاءت إلى هنا بنفسها .

ثم أضاف في حزم :

— اصبر يا (فرناندو) .. حاول أن تحصل على صورة

لـ (أميجو) هذا ، وارسلها لـ (الفاكسميل)^(*) إلى القيادة

في (تيرور)^(**) ، واطلب منهم موافقاتنا بكل ما يعلمونه عن

صاحبها ، وعلى وجه السرعة .

أوماً (فرناندو) برأسه صاعقاً ، وانجذ على الفور ، لتنفيذ

الأمر ، في حين التفت (كال) إلى الرجل الآخر ، وقال :

— دُعها تدخل .

صبَّ لنفسه كأساً أخرى ، وكأنها يُدارى بارتشافها

الفعالاته ، ولكنه لم يكد ينظر إلى (سونيا) بفتنتها وسحرها ،

حتى اتسعت عيناه في البهار ، وهو يبتف مشدوهاً :

— زبَّاه !!

(*) الفاكسميل : جهاز يستخدم لنقل الصور والرسائل عن طريق

الهاتف ، بواسطة تحويلها إلى ذبذبات صوتية ، ثم استرجاعها كنقاط

صوتية ، في جهة الاستقبال .

(**) راجع قصة (أرض الأموال) .. المأخرة رقم (١٣) .

كانت أجمل امرأة وقعت عليها عيناه طيلة عمره ، وأكثرهن

لحثة وإغراء ، حتى أنه لم يملك نفسه من الاندفاع نحوها ، وهو

يبتف :

— ياله من شرف ياسيدتي !

تركه يلثم أناملها بشغاف مخمومة ، ثم سحبت يدها في رفق ،

وجلس على أقرب مقعد إليها ، وهي تقول :

— إنها زيارة عمل ياسينور (كال) .

أجابها مبهوراً ، وهو يجلس قبالتها :

— تسعدني زيارتك لأى سبب ياسيدتي .

أسعدها أن بهره جمالها ، فالتكأت على مسند مقعدها ،

ومالت نحوه ، وهي تقول :

— إنها في الواقع صفة .

راح البهارة بها بخيت تدريجياً ، مع صوت طموحاته ، التي

تصرخ في أعماقه ، فراجع مبعداً وجهه عن أنفاسها ، وهو

يقول :

— صفة ١٢ .. أى نوع من الصفقات ؟

أدركت من حركته أن جمالها لن يصنع الكثير هذه المرة ،

فتراجعت بدورها ، وهي تقول بلهجة عملية :

— إنها كما يقولون : « صفة للطرفين » ، فأنت غشاك
بصاعة لا تفيدك كثيرًا ، وأنا أحتاج إليها ، ومستعدة لدفع ثمنها
نقدًا ، وعلى الفور .

اجسم وقد بدأ يستوعب الأمر ، وقال :

— وما نوع هذه البصاعة ؟

أجابته في هدوء :

— إنه رجل .. رجل يُدعى (أميجو) .

رفع حاجبيه في دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

— (أميجو) ؟ .. وهل أعرفه ؟

اجسمت بدورها في الحيرة ، وهي تقول :

— ذهنا نجيد لعب دور رجال الأعمال ياسنيور (كال) ..

الذين لا يضيئون أوقاتهم في مهاترات ومجاورات ومناورات ،
بل يكشفون الأوراق كلها على المائدة دفعة واحدة .

راقب له أسلوبها ، فنهض يقول :

— ما رأيك في كأس من الخمر ؟

أجابته في هدوء

— إنني أفضل (الفودكا) .

رفع حاجبيه في دهشة ، وهو يقول :

— (الفودكا) ؟ .. لم أتصور أبدًا أن فاتنة رقيقة مطلق
يمكنها أن تفضل هذا النوع من الخمر ، حيث يبلغ تركيز
الكحول فيه تسعين في المائة تقريبًا .

قالت في حيرة :

— ذغك منه إذن ، وأخبرني .. كم تريد ثمنًا لـ (أميجو) ؟

قال مبتسمًا في شحنة :

— ثمنًا له ؟ .. إنني لست تاجر رقيق ياسيدتي .. إن

(أميجو) هذا بين يدي العدالة الآن .

بدت الصرامة في عينها وصوتها ، وهي تقول :

— أَلَمْ تنفق على كشف الأوراق ؟

قال وهو يصب كأسًا من الخمر ، ويناولهاها :

— معذرة .. لست أذكر أننا قد اتفقتا على شيء .. لقد

طلبت أنت هذا فحسب ، ولكنني لم أوافقك الرأي .

قالت في حدة :

— فليكن ، ولكنني سأكشف كل الأوراق من جهتي أنا ..

إنني أعلم أنك أخطبوط في هذه المدينة ، وأنت تحيط كل شيء

فيها بأذرعك ، وأنت أنت مدبر ذلك الأمر ، الذي أوقعت فيه

(أميجو) .

قال مبسفاً :

— وما المطلوب مني الآن ؟

قالت في عصبية :

— أن تحدد من حياة (أميجو) .

رأى عليهما الصمت لحظات ، وهو يطلع إليها ، ثم ماب

نحوها ، قائلاً :

— قد أتأول عنه مجاثلاً لو

سأله في لحظة :

— لو ماذا ؟

تراجع قائلاً في بطة :

— لو أجبت على أسئلتى .

عقدت حاجبها الجميلين ، وهي تقول :

— ماذا تريد ؟

سأها على الفور :

— لماذا تريدني (أميجو) ؟

أجابته دون ذرة واحدة من التردد :

— لأتني أحبه .

لم يكن يتوقع هذا الجواب قط ، ولا حتى تلك اللهجة الصادقة ، التي نطقته بها (سونيا) ، لذا فقد ارتفع حاجباه في دهشة ، وهو يقول :

— تحينه ؟

ثم لم يلبث أن عقدتهما ، مستظرفاً في حدة :

— ولكن هذا مستحيل !

قالت في ضيق :

— مستحيل أن أحبه ؟

قال في حدة :

— بل مستحيل أن يكون هذا هو السبب الحقيقي .. أنا

والتي من أن (أميجو) هذا ليس رجلاً عادياً .. لقد هزم رجالنا

في كل مرة حاولوا الفتك به ، وأسقط لنا طائرتي هليكوبتر

وهو أعزل ، و.....

قاطعه في حدة مماثلة :

— ومن قال إنه شخص عادي ؟

حدق في وجهها لحظة ، ثم قال بصوت خفقه الانفعال :

— من هو إذن ؟ ما اسمه ؟ .. إلى ماذا يتحمى ؟

صمتت لحظة ، قبل أن تجيب :

— إنه يدعى (موسى) .. (موسى دزرائيل)^(١٥).

كان هذا هو أول اسم فُقر إلى شعبنا .. ربما لذلك التشابه بين (آدم صري) ، وضابط الموساد السابق (موسى حاييم دزرائيل) ، ولقد آتى الاسم مفعوله بسرعة ، فقد هتف (كال) في دهشة ، وكان هذا آخر ما يوقعه :

— (موسى دزرائيل) ؟ .. أهو... ؟

قاطعه :

— إسرائيل ؟ نعم .. ولقد كان يعمل في صفوف (الموساد) ، ثم بلغناياً مصرعه ، ولكنني فوجئت أنه على قيد الحياة ، ولكنه فقد ذاكرته .

ردّد (كال) في ذهنه :

— (الموساد) ؟

ثم فُقر إلى هاتفه ، وراح يضغط أزراره في انفعال ، فقالت (سونيا) في توتر :

— لست أريد أن يعلموا أنه ما يزال على قيد الحياة .
أجابها في انفعال :

— اطمئنى .. لن يعلموا .

(٥) راجع قصة (الخلد الشعل) : المظاهرة رقم (٦٥) .

انتظرت حتى جاءه صوت محدثه ، على الجانب الآخر من الهاتف ، وقال :

— طاب مساءً .. نعم .. أنا (كال) .. أريد خدمة أخرى من كمبيوترات التقارير المركزية الأمريكية ، الذى تعمل معه .. نعم .. نفس المبلغ كالمعاد .. أريد معرفة كل ما لديكم عن ضابط سابق في (الموساد) ، يدعى (موسى دزرائيل) .
قالت (سونيا) في صوت حافت :

— (موسى حاييم دزرائيل) ..

صُحح (كال) الاسم محدثه ، وانتظر لحظات ، قبل أن يقول في لفظة :

— هل عثرت عليه ؟ .. نعم .. كان يمتلك قدرات هائلة .. بالتأكيد .. مات .. شكراً لك .. سيصلك المبلغ بالوسيلة المعتادة ، وستحصل على مكافأة خاصة أيضاً .
وأعاد سماعه الهاتف ، وهو يقول :

— إنه هو .

ثم أطلق فجأة ضحكة ارتياح ، مكرّراً :

— إنه هو .

قالت ، وقد بدا لها النصر قاب قوسين أو أدنى :

— وأنا أريده ياسنيور (كال) .. بأى شيء .

أطلق ضحكة عالية أخرى ، وهو يقول :

— لا تخن يا فاتسي .. ستحصلين عليه بالجمان ، فعندما يكون
(كال) سعيدا ، يزوق له أن يذو السعادة على كل من حوله .
والنقط ساعة هاتفه مرة أخرى ، وضغط أزراره ، ولم
يكذ يسمع صوت محدثه ، حتى قال :
— ههنا (كال) .. قل لـ (جوزيه) إنني أريد التحدث إليه .
انعتقد حاجاه بغته ، وبدا التوكر في صوته وملاحقه ، وهو
يقول :

— ماذا ؟ .. هل رحل مع السجين ؟ .. منذ متى ؟

هبت (سونيا) من مقعدها ، وهي تقول في توكر :

— رحل معه ؟

أما (كال) فقد بدا الضيق عليه ، وهو يقول :

— منذ ساعة .. لا فائدة إذن .

ثم أعاد ساعة الهاتف ، وهو يقول لـ (سونيا) ، التي
استأ وجهها بالفرع :

— لقد رحلوا منذ ساعة ، وهذا يعني أن تنفيذ حكم
الإعدام قد تم .. أنا آسف ياسيوريتا .. آسف جدًا .

وانهارت (سونيا) لأول مرة في عمرها ..

من أجل (أدهم) ..

١٠ — الإعدام ..

شهر (جوزيه) بخيرة بالغة ، عندما استسلم (أدهم)
تمامًا له ولرجالاه ، وهم ينقلونه إلى سيارة السجن المعلقة ، ذات
القضبان ..

صحيح أن (جوزيه) قد استعان بعشرة رجال ، يحمل كل
منهم مدفعًا رشاشًا قويًا ، ويتحفظ لشطيم رأس (أدهم) ،
ونسفه نسفًا ، عند أول باذرة مقاومة من هذا الأخير ..

وصحيح أنه أصبر على إحاطة معصمي (أدهم) بالأغلال
الحديدية خلف ظهره ، إلا أنه ، وعلى الرغم من كل هذا ، كان
يتوقع من (أدهم) شيئًا من المقاومة ..

ولكن (أدهم) كان أذكى من أن يفعل ..

لقد درس في زنزانته كل الاحتمالات ، وأدرك أن مقاومته
لرجال الشرطة ، في مركزهم ، وبكل استعداداتهم هذه ،
سعدت نوعًا من الانتحار الحتمي ..

ولقد نجحت (ماريانا) في التسلل إلى النافذة الخلفية
لزنزانته ، وبوساطتها حصل على بعض المعلومات الخاصة

بالسيارة ، التي ستقله إلى السجن العام ، وهي سيارة صغيرة ، ذات خزانة خلفية من الصلب ، تصنع لثلاثة أفراد ، مما يثنى أنه سيُودع بها مع حارسين ، ولقد أخبرته (ماريانا) أن سيارة من سيارات الشرطة ستقدم سيارة السجن ، في حين ستجلبها سيارة شرطة أخرى ..

وبدراسة الأمر من كل الوجوه ، أدرك (أدهم) أن اللحظة المناسبة للفرار هي لحظة محاولة اغتياله بالذات .. ففي هذه اللحظة ، يبدو الأمر للجميع وكأن (أدهم) مجرد ضحية عديمة الحيلة ، وأنهم هم الوحوش المفترسة .. ومن المربك حقاً ، في مثل هذه الظروف ، أن تبذل الأدوار على نحو مباحث ، بحيث تتحول الضحية فجأة إلى وحش مفترس ، وتصبح الوحوش هي الضحايا ..

ويخطط مدروسة ، لم يقاوم (أدهم) ، وهم يتقلونه إلى سيارة السجن ، واتسم في أعماقه ، عندما رافقه حارسان كما توقع ، ثم أنصت في اهتمام ، حتى سمع أربع خطوات خفيفة على باب السيارة ، تلتها ثلاث دقات ..

وكانت هذه شفرة اتفق عليها مع (ماريانا) ..

شفرة تقول إن السيارة الأمامية تحمل أربعة رجال ، في حين تحمل السيارة الخلفية ثلاثة ، وإذا أضف (أدهم) إليها حارسه ، وسائق سيارة السجن ، يكون المجموع عشرة رجال بالتمام والكمال ، هم كل القوة التي ينبغي أن يقاتلها بتسل حريته ..

وعلى الرغم من قيوده وحرّاسه ، استرخى (أدهم) داخل سيارة السجن في هدوء أدهش الحارسين المراقبين له ، وبث في قلبهما شيئاً من الرّبة والخوف ، فالتفتت أسلحتهما إليه في غدر وقلق ..

ومع رحلة الانتقال ، راح (أدهم) يراجع الموقف في هدوء ..

لقد أوقع به (كال) في مشكلة عويصة .. مشكلة مع القانون ..

وحسب لو نجح من محاولة اغتياله ، فسيكون عليه أن يواجه قوة القانون كلها ، باعتبار أنه أحد الخارجين عليه ..

وهذا يزيد من مشكلته تعقيداً ..

ولكن لماذا لا يشعر بالقلق ؟ ..

لماذا تبدو له كل هذه المخاطر والتعقيدات مألوفاً ؟ ..

لرى ، هل اعتاد مجابهة الخطر ؟ ..

نعم ..

هذا ما يشعر به في أعماقه ..

استناره بالموت يؤكد له أنه رجل مخلق ليقاتل ..

وليتحدى ..

وبعد ساعة كاملة من السر ، توقفت سيارة السجن ،

وتحفظت كل خلية من خلايا (أدهم) للعمل ..

وبدت الخيرة على وجهي حارسه ، وكأنها يتساءلان عن

سر هذا التوقف ، فابتسم في سخرية ، قائلاً :

— لا تقلقا .. فقط خائت اللحظة .

سأله أحدهما في توتر :

— أية لحظة ؟

ولجأة ، انفتح باب السيارة في عصف ، وبدت خلفه وجوه

عدة ..

لقد حدث اختلاف بسيط في الخطأ ..

إن (أدهم) لن يواجه عشرة من رجال الشرطة

فحسب ..

بل سيواجه أيضاً خمسة عشر رجلاً من رجال (كال) ،
أطلقوا بوجوههم عليه ، وابسامهم الساخرة تخرج بعلامات
الموت في قوّهات مدافعهم الرشاشة ، وإلى جوارهم وقف
(جوزيه) متوتراً ، يقول :

— ما كان ينبغي لسيور (كال) أن يرسلكم .. كان
اتفاقنا أن ينهي رجال الأمر كله .

ابتسم قائد رجال (كال) ، وهو يقول :

— لا فارق يا (جوزيه) .. إننا هنا لليقّن من مصرع ذلك
الشیطان فحسب .

ثم أشار إلى حارس (أدهم) ، قائلاً في صرامة :

— غادرا السيارة .

قفز الحارسان من السيارة في توتر ، في حين ابتسم الرجل
ابتسامة شامتة ساخرة ، أجابها (أدهم) بابتسامة أشد
سخرية ، وهو يقول :

— مرخي أيا الوغد .. أبقى زعيمك (كال) في فوق إلى
هذا الحد .

أجابه الرجل ، وهو يجذب إبرة مدفوعه :

— ربما .. سيهلك الأغبياء في الجحيم عن الحقيقة .

ثم رفع يده إلى رجاله ، مستطرداً في حزم :
— هيّا .. فلننه هذا العمل ..

ارتفعت قُوّهات المدافع الآلية كلها نحو (أدهم) ، الذي
وقف ثابتاً وسط سيارة السجن ، وهتف الرجل :
— الآن ..

واوتجت المنطقة كلها بدويّ سيل من الرصاصات ..

[انتهى الجزء الثاني بحمد الله ، وبليه الجزء الثالث]

(معركة القصة)

رقم الإيداع : ٣٦١٩



د. ساي فاروق

الأخطبوط

- كيف ينجح (أدهم صبرى) في مواجهة جيش كامل بمفرده ؟
- من هي (نورما كرينال) ؟ .. ولماذا تسعى خلف (أدهم) ؟
- لئى ... هل ينجو (أدهم) من أذرع (كال) ، أم يقتصره ذلك (الأخطبوط) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وتابع مايفعله (رجل المستحيل) ..

رجل
المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للجاسوس
زاهرة
بالأحداث
المثيرة

٨٢

التمتع في مصر

وما يحدثه بالدولار
الأمريكي في سائر
السوق العربية
والعالم



العدد القادم : معركة القمة